مرحلة ١٩٨١-١٩٨٤

عقب قرارات سبتمبر التي أعلنها السادات في خطابه الأخير شنت قوات الأمن حملات اعتقال مشددة ومداهمات لمنازل المعارضين اسلاميين ومسيحيين وقساوسة وشيوخ وسياسيين وصحفيين كبار ووزراء سابقين كما تمت مداهمة مقرات بعض الصحف والمجلات والأحزاب السياسية المعارضة كما شنت وسائل الاعلام حملات تشويه غاية في الادعاءات والكذب والأحقاد الشخصية التي افصح عنها الأستاذ مكرم محمد احمد في حوار له مع جريدة المصري اليوم بتاريخ ٢٠١٦/٩/٨قال :

(قال السادات لنا: اجلسوا مع النبوي إسماعيل «نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية» لكي يتحدث كل واحد عن خصومه.. لكي يكونوا ضمن المتحفظ عليهم، وقالوا لي من هذه الليلة: لابد أن تكتب قائمة بخصومك في الصحافة، فقلت لهم: لا يوجد لي أعداء

فقال لي النبوي: لديك صحفي أسمه ماجد عطية.. اكتب اسمه،

فقلت له هو محرر اقتصادي (يساري علي خفيف) ولا توجد ضغائن تجاهه.

وعرفت في هذه الليلة أن العديد من القيادات الصحفية كتبوا أسماء خصومهم الشخصيين، وكان بعضهم لا يعادي السادات أو يقصده الرئيس في هذه الاعتقالات أو الوقف عن العمل. وقالوا في مكتب النبوي أن عبدالله عبدالباري «رئيس مجلس إدارة الأهرام في هذا التوقيت» أبلغ عن العديد من الصحفيين منهم محمد سلماوي لوجود خصومة شخصية بين الاثنين وتم نقله فعلياً، مع غيره إلي وظيفة إدارية.

وتوسعت العملية للقدر الذي حذرت منه في "بلير هاوس" وكانت فترة عصيبة جداً.. حيث تم زج عشرات الصحفيين ومئات السياسيين ورجال الدين كبار السن إلي المعتقل.)

ونشرت التحقيقات مع بعض المعتقلين مثل الشيخ عبد الحميد كشك وبعض القساوسة بعد ان تمت احالتهم الى نوع جديد من المحاكم استحدثه السادات تسمى "محكمة القيم" يحقق لها ما سمي بالمدعي الاشتراكي.

وكانت القرارات الصادرة والبطء الذي تسير به التحقيقات تشير الى أن نية السادات تجاه المتحفظ عليهم سوداء وأنهم باقون في السجون مددا طويلة مما زاد من مخاوف المطلوبين للتحفظ

هذه الخطوة التي اتخذها السادات وضعت كل معارضيه في مأزق ضيق ضاقت فيه الخيارات وصعبت أمام كل من ورد اسمه في المتحفظ عليهم فليس أمامه ألا أن يهرب أو أن يسافر خارج البلاد إن استطاع ماديا ثم وجد طريقة آمنة وإما أن يسلم نفسه وكلها خيارات صعبة .
إلا أن الجماعة الاسلامية وتنظيم الجهاد كانا قد كونا التنظيم وبدأ في العمل السري المسلح من قبل هذه القرارات وكانت ساعة الصفر بالنسبة له مازال أمامها وقت طويل قالوا انه سنة ونصف وبالتالي فهم هاربون في جبل البلينا بسوهاج للتدريب على السلاح أو في أماكن أخرى وبالتالي لم يتم القبض عليهم.
بعد أيام من قرارات التحفظ بدا أن هناك خيارا رابعا اختاره التنظيم وهو حمل السلاح مبكرا ضد نظام الحكم.
وحسب رواية القيادات فإن التنظيم كان أمامه عدة خيارات إما أن يتوقف والنتيجة أن قياداته معرضون للقبض عليهم دون أن يفعلوا شيئا فهم مطلوبون للتحفظ ، وإما أن يفعلوا شيئا ولكن احتمال نجاحه ضعيف والنتيجة قريبة من نتيجة التوقف. فاختار التنظيم الخيار الأول فعلى الأقل يحدث نكاية في النظام ثم حتى لايلقى نفس المصير بلاشيء . أما الأفراد الغير مطلوبين فقد رأوا إطلاعهم على ما جدَّ من التبكير في الخطة وتخيير كل منهم بين مشاركته وعدمها بلا لوم عليه أي إن التنظيم قد اختار الموت واقفا على حد تعبير البعض.
وهذا موضوع يحتاج الى تفصيل مستقل وقد سبق تناوله لأكثر من كاتب

عقب اغتيال الرئيس السادات وأحداث اسيوط زاد التوتر والاضطراب حيث توقع كثيرون امتداد هذه الأحداث الى مدى مجهول وتوسعت دائرة الاعتقال في الاسلاميين كما اتسعت الحملة الاعلامية عليهم وزادت البلاغات الكيدية فكل من أراد كيداً بخصمه أبلغ أنه من الاسلاميين وطال الاعتقال أنواعا من الناس لاعلاقة لهم بشيء مثل الذين ابتهجوا بخبر اغتيال السادات وكثيرا من أبناء المطلوبين وآبائهم أخذوا كرهائن للضغط على المطلوبين وكذلك المتشابهة اسماؤهم مع مطلوبين

وحوصرت مساجد الجماعات الاسلامية ومُنعوا من صعود المنابر فقد رأيت ضابطا دخل المسجد ورفع السلاح على خطيب مسجد عمر بن الخطاب بالمنيا وأنزله
وامتلأت مراكز الاحتجاز والسجون بالمعتقلين وساد الرعب والزعر وخاف الناس على أبنائهم فخلت المساجد إلا من أعداد قليلة من كبار السن وأظلمت الدنيا على الناس فلا توجد قرية لاتتردد عليها عربات الأمن المركزي المسلحة للقبض على بعض الشباب واقتيادهم الى جهات غير معلومة واحتار الأهالي والمحامين في البحث عن أبنائهم ولم يكن أحد ليجروء على الاقتراب من مراكز الشرطة فقد كانوا في غاية الهياج والبطش ولم يظهر أحد من المعتقلين في أي مبنى للنيابة ولم يمثل للتحقيق .
في السجون كان المعتقلون قبل الأحداث (المتحفظ عليهم) مودعين بسجون أبي زعبل والاستقبال الذي أعد حديثاً وخصيصاً للسياسيين وهو أول سجن مصمم على أساس بقاء المسجون داخل زنزانته لفترة طويلة بلا خروج منها فدورة المياه داخل الزنزانة وكان السجانون يقولون: ان السادات مجهز لكم السجن من زمان .
كما كان سجن ملحق المزرعة قد خصص للخواص من المعتقلين كفؤاد سراج الدين وغيره
اما النساء مثل نوال السعداوي وغيرها فقد كن في سجن النساء بالقناطر.
هذا بخصوص من سموا بـ "المتحفظ عليهم" كاسم بديل عن اسم المعتقلين كما سمي الاعتقال بـ "التحفظ "تفاديا للمصطلحات الكريهة ذات السمعة السيئة التي تباهى السادات حينا انها انتهت على يديه من قاموس الحياة السياسية في مصر
أما المقبوض عليهم بعد الأحداث فقد كانوا يملؤن سجون الأقاليم وأقسام ومراكز الشرطة وبعد تحقيقات أولية يتم فرزهم فمن له شبهة صلة بالاحداث من قريب أو بعيد يتم ترحيله الى القاهرة إما الى القلعة أو الى ليمان طرة
أما المتهمون بقتل السادات فقد كانوا في السجن الحربي.

مرحلة تحقيقات أمن الدولة

بدأت تحقيقات أمن الدولة بسجن القلعة وسجن ليمان طرة والاستقبال حيث تم فرز نزلائه وترحيل من لاصلة له بالجماعات الاسلامية الى سجن ابي زعبل وغيره وتم الإفراج عن كثير منهم خصوصا اليساريين وكبار الشخصيات

حيث توجهوا بهم الى قصر الرئاسة أولا واستقبلهم مبارك قبل التوجه الى بيوتهم.
أما من اشتبه في صلته بالجماعات الاسلامية فقد بدأ وضعهم في أوضاع سيئة ومرعبة للتحقيق معهم وبدأ التعذيب بكل أساليبه.
كما تم التحقيق مع كل القيادات الشبابية الاخوانية ثم هدأت التحقيقات معهم بعد الوصول الى بعض النتائج أهمها الجهة المسؤلة وعدم صلتها بالاخوان

استمرت تحقيقات أمن الدولة قرابة شهرين أو ثلاثة عاشها المعتقلون في ظروف بشعة عانوا فيها من مجاعة طاحنة وبرد قارس وأوضاع صحية سيئة فلاتوجد زيارة ولافسحة ولاتعرض للشمس فانتشر الجرب والقمل مع عدم وجود أدوات النظافة كما انتشر مرض الأنيميا والهزال ثم انتشر وباء الكوليرا وهدد معسكرات الأمن القريبة من السجن والتي يدخل جنودها الى السجن مما أدى الى اضطراب الادارة وبالتالي خلخلة القبضة الحديدية الممسكة بالسجن من أمن الدولة وتمتع ادارة السجن بممارسة دورها الطبيعي وصلاحياتها التي ظلت منتزعة من أمن الدولة فأجرت الحياة اليومية قريبا من المنصوص عليه في لوائح السجون وتم توزيع الصابون والسماح بدخول الأطعمة والأدوية

ثم بدأت تحقيقات النيابة فبدأ المحامون يحددون أماكن احتجاز المعتقلين ومن ثم يتوافد الأهالي على الزيارة التي ظلت ممنوعة لثلاثة أشهر ثم فتحت

الوضع الداخلي في الزنازين

اتسمت تلك الفترة بالإقبال الشديد على حفظ القرآن خصوصا مع غياب المصاحف ففقدان المصحف يخلق حالة من الرغبة في إيجاد القرآن في الصدر بالحفظ والمحافظة عليه بالمراجعة
كما اتسمت بكثرة العبادة والذكر والدعاء والاستغاثة بالله لرفع البلاء عن الجميع
كما اتسمت بالتلاحم والتعاطف والتواد الجميل
أي أن هذا المجتمع الجديد بدأ يحتاج الى ما ينشيء به حياته الجماعية فكانت مباديء وأخلاق الاسلام هي المرجع المحفور في الأعماق فانعكس على المعاملات بتلقائية ومن هنا بدأت بعض الأعراف في الوجود في هذا المجتمع الجديد

لكن في الحقيقة إن ثمةخلافات فكرية ومفاهيم عكرت صفو الانسجام التام بين مكونات هذا المجتمع الذي ذابت فيه الفروق بين الطبقات المادية ولكن ظهرت الفروق الفكرية الممنهجة وخصوصا التي فُهِم أنها في باب العقيدة والايمان مثل جماعات التكفير التي تتخذ من قضية الولاء والبراء أصلا في العلاقات اجمالا دون تفصيل فقهي أو بمعنى أصح بلا علم أصلا داخل هذا الموضوع الشائك
استمرت هذه المرحلة شهرين تقريبا قبل صدور قرارالاتهام

وفي البداية خرق الدكتور ناجح ابراهيم رهبة المكان والوضع ففوجيء المعتقلون به يقوم بتحفيظ حديث نبوي كل ليلة ثم يشرحه ثم يعقد مسابقة بسيطة يقدم بها جوائزرمزية للغاية
كانت قيمة هذا العمل في جرأته أولا في هذا الجو المرعب الذي جاء بعد فترة تعذيب وتنكيل وإرهاب شديد تجعل كل انسان يراجع نفسه من حيث الأسباب التي جاءت به الى هذا المكان الذي ما إن يسمع العنبر كلمة "انزل تحت" الا ويغرق في صمت شديد من الرعب الذي خلفه تعذيب كل من يضبط ناظرا من نافذة الزنزانة متحدثا مع غيره .
ولذلك فقد قدرت ادارة السجن خطورة هذه الخطوة بان أخذت من تجرأ عليها وعذبته هناك ،في مكاتب الادارة
ولكن الدكتور كان يدرك هدفه كما يدرك الأثر السيء لسكوته فعاد الى القاء الحديث ولم يتوقف فكان لهذا الحديث أثراً عظيما في رفع المعنويات وتبديد الإحساس بسحق الإرادة وبأن كل شيء قد انتهى كما أنه قدم إجابة عن سؤال بديهي وهو: ترى ما الجديد في ارادة القيادة التي نالت النصيب الأكبر من التعذيب؟ وهل هناك تغيير؟ فجاء هذا الصمود إجابة عملية قوية.
كذلك كان الشيخ عبد الآخر حماد يشرح تفسير سورة يوسف فيمن حوله في عنبر "أ" وكان لهذا دور كبير في المعنويات،
ولما خفت القبضة الأمنية أعطى كثير من المشايخ الدروس العامة في العنبر من خلال نوافذ الزنازين وفي فناء العنبر.
كانت هذه الدروس تظهر مدى الاختلاف بين أبناء التيار الاسلامي فبينما يقوم شيخ كبير بالقاء موعظة ينبري أحد الشباب معلقا على بعض الأحاديث

وتضعيفها والتحذير من الأحاديث الضعيفة وأثرها السيء على الأمة بأسلوب سيء فغالبا ما يقع جدال يتطور الى شجار.
كان أكبر احساس يضايق المعتقل هو انه مقبل على مجهول لايدري كيف ستكون الحياة في هذا الواقع واقع السجون ؟
كانت بعض التسريبات تأتي من ادارة السجن أنها متضجرة من سيطرة أمن الدولة على السجن بما يفقدها دورها وعملها .
في يوم تم أمر جميع المعتقلين بالنزول الى فناء السجن وعلى أعينهم العصابة كالمعتاد واذا بصوت يأمرهم برفع العصابة التي على أعينهم فاذا بهم أمام ضابط كبير عرَّفهم بنفسه: أنا العقيد محسن السرساوي مأمور السجن وانا المسؤل عنكم هنا ... لاتضعوا العصابة على أعينكم مرة أخرى .. اصعدوا الى زنازينكم .. فكانت هذه بداية مرحلة جديدة.
وفي هذه الفترة تمت بعض الاضرابات للتعجيل بفتح السجن ولكنها لم تؤثر فحدث تمرد كبير اختطفت فيه المفاتيح من السجانين وتم فتح كل الزنازين دفعة واحدة بعد أن كانت تفتح على مجموعات مما اضطر ادارة السجن لطلب مندوبين عن السجن لتقديم الطلبات وكانت هذه أول مرة نتعامل فيها مع ادارة السجن بشكل جماعي فتخوف الناس من الغدر بالمندوبين لكن في النهاية خرج الشيخ حمدي عبد الرحمن سوهاجي ومحمد حسن الكريمي
اسماعيلاوي وآخرون خرجوا للادارة وعادوا بنظام جديد ومرحلة جديدة تم فيها فتح الفسحة لكل السجن والزيارة وإدخال الجرايد والكتب وإخراج نزلاء التأديب وكان منهم الشيخ عصام دربالة.
وقد عانى هؤلاء المندوبين عناء شديداً من التعامل مع المعتقلين خصوصاً جماعات التكفيرونظرتهم اليهم بصفتهم يخرجون للادارة فهم جزء منها.

في تلك المرحلة كان نزلاء سجن الاستقبال خليطا من كل الجماعات والاتجاهات الاسلامية من الاخوان المسلمين والمدارس السلفية وكانت أيامها مدارس كثيرة مثل مدرسة الشيخ أسامة عبد العظيم حمزة، مدرسة الشيخ محمد الدبيسي ،ومدرسة الشيخ حسن زبادي ، وجماعات التكفير المختلفة وكانت ايامها كثيرة مثل "جماعة المسلمين" شكري مصطفى أو "جماعة التكفير والهجرة " كما سمتها الداخلية وجماعة "التوقف والتبين و"الفرماوية" نسبة للشيخ الفرماوي وهم لايأخذون بالأسباب وكذلك

"الأوابين" و"التوابين" وجماعة "الغرالمحجلين" و"حزب التحرير" الأردني وقد ميزت ادارة السجن التسكين على اساس اقليمي فضمت أبناء الوجه البحري في صف من الزنازين سويا والقبلي في صف كما في عرف السجون
ومع فتح الزنازين للفسحة بدأ ت كل جماعة أو مجموعة تبحث عن أبنائها في هذا الزحام وتحاول ان تنظم نفسها وتدعو الى فكرها

وتحرك بعض قيادات الجماعة الاسلامية الموجودون في سجن الاستقبال (أكبر السجون عددا) الشيوخ حمدي عبد الرحمن وعبد الآخر حماد وعصام دربالة
فبدأوا بعض الدروس داخل زنازين الوجه القبلي للتحصين من عقائد التكفير التي كانت منتشرة وكذا الرد على السلفيين الذين يُخطئون الأحداث وكان الشيخ عصام دربالة ينظم هذه الردود في دروس تستمر طوال الليل في زنزانته ٤/١٧ التي نظم توافد كل ابناء الجماعة الاسلامية عليها

بعد فتح الفسحة حدثت مناظرات كثيرة على نطاقات ضيقة عاد فيها كثير من جماعات التكفير عن عقيدتهم حيث كانت غالبيتهم أميين.
بعد فتح الزيارة ظهرت الأخلاقيات الجميلة مثل الايثار وتبادل المعتقلون توزيع ما يأتي في الزيارت على بعضهم لكنه لم يكن وفق نظام مجدد وانما كل من تأتيه زيارة فستستفيد منها كل الزنزانة أولا ثم سيرسل صاحب الزيارة بعض الهدايا والصدقات لأصدقائه في الزنازين الأخرى،
وكان من الظريف أن أشد عقوبة يلحقها أحد بآخر إذا تخاصما هي أن يمتنع عن الأكل من زيارته ويرفض قبول نصيبه مما يوزعه صاحب الزيارة على الزنزانة من ملابس أو غيره.
وبذلك فما إن فتحت الزيارات بقليل الا وتمت تغطية كل الاخوة باحتياجاتهم عن طريق الهدايا المتبادلة والصدقات.
- بعد فرز المعتقلين وتسكينهم على أساس الوجه البحري مع بعضهم والقبلي مع بعض استراحت المناظرات بعض الشيء بين السلفيين الذين كانوا يتكلمون في شرعية الأحداث ويحرمونها بأسلوب فظ ،وبين شباب الجماعة

الاسلامية وكذلك مع الاخوان الذين كانوا يتحسرون على الدعوة متهمين الجماعة الاسلامية بأنهم أخروا الدعوة ١٥ سنة جديدة للوراء
وكان من المعتقلين أصحاب مكتبات مثل الشيخ عبد الفتاح الزيني غمروا السجن بكل أنواع الكتب.
فضعف الاقبال على حفظ القرآن واشتد الاقبال على الكتب والقراءة حتى أصبح الشباب في حيرة ماذا يقرأ وماذ يترك من هذه الكنوز العلمية ؟

بعد فتح الفسحة عقدت صلاة الجماعة في فناء السجن وأعطى بعض المشايخ مواعظ ودروس كان الأشد اقبالا مواعظ الشيخ نشأت احمد حيث كان بليغا في دروس الرقائق وكنا في حاجة اليها .
في شهر مايو صدر قرار الاتهام في القضية رقم ٤٦٢ أمن دولة عليا وعرفنا بالاسماء من الجرايد
ومن الطريف ان موزع الجرايد (طه البوتلي) صاح في العنبر بأعلى صوته اسمع اسمك في قرار الاتهام وبدأ يعلن الاسماء ولكن اذا بنا نفاجأ بانقطاع الصوت وتوقف اعلان الاسماء ! مالذي حدث ؟ لقد فوجيء بوجود اسمه على غير المتوقع فصدمته المفاجأة ... سكت من هول الصدمة
كان صدور القرار صادماً لكثير منا فقد أدخل عدداً كبيراً ممن لاعلاقة لهم بالاحداث ضمن القرار ورغم أن الحزن قد خيم على جو عنبرنا عنبر" أ "الا ان عصام دربالة فسر وجود اسماء كثيرة ممن لاعلاقة لهم بالأحداث ضمن قرار الاتهام بأن عدد الحاصلين على البراءة سيكون كبيراً لتجميل صورة النظام الجديد نظام مبارك .... وبالفعل هذا ماحدث
انتشرت الشائعات خلال هذه الشهور وخصوصا قبل كل مناسبة حيث يشاع أن الجميع سيخرج على مولد النبي مثلا وكانت مباحث السجن هي التي تدير هذه الاشاعات
وبعد صدور قرار بيوم واحد فوجئنا بحملة أمنية مكبرة تعيد الى أذهاننا أيام التعذيب بعد أن كنا قد استرحنا قليلا من ذكراها فاذا بها تذكرنا بالسلب بعد العطاء الذي استعاذ منه الرسول صلى الله عليه وسلم ثم نودي علينا بالميكروفون أنه سيتم فرزنا وترحيلنا فيجب مساعدة الحملة في القيام بمهمتها ويبدو أن الذي وجه هذا النداء هو مأمور السجن وبذلك فهمنا سبب وجود هذه القوات الضخمة بأنواعها وألوان ملابسها فاطمأننا قليلا.

القضايا

أسفر هذا الفرز والترحيل عن اخراج عدد كبير من دائرة الاتهام واخلاء سبيلهم وهؤلاء تم ترحيلهم الى سجون أخرى تمهيدا للافراج عنهم كما أسفرت عن عدد من القضايا.

أولها قضية اغتيال السادات وكان عدد المتهمين فيها ٢٤ اربعة وعشرين متهما

المتهمون باغتيال السادات

١ـ ، ملازم أول بالقوات المسلحة خالد أحمد شوقى الإسلامبولى .

٢.عبد الحميد عبد السلام عبد العال علي، صاحب مكتبة

٣ـ عطا طايل حميدة رحيل، مهندس

٤.ـ حسين عباس محمد، رقيب متطوع بالقوات المسلحة بالدفاع الشعبي، .

٥.محمد عبد السلام فرج عطية، مهندس، .

٦ ـ كرم محمد زهدي سليمان، طالب بكلية الزراعة، جامعة أسيوط، .

٧ ـ فؤاد محمود أحمد أحمد حنفي، وشهرته فؤاد الدواليبي، تاجر أثاث

٨ ـ عاصم عبد الماجد محمد ماضي، طالب بكلية هندسة أسيوط

٩.أسامة إبراهيم حافظ، طالب بكلية هندسة أسيوط، .

١٠ ـ دكتور عمر أحمد علي عبد الرحمن، أستاذ بكلية أصول الدين،

١١.عبّود عبد اللطيف حسن الزمر، مقدم بالقوات المسلحة،

١٢ـ صالح أحمد صالح جاهين، مهندس .

١٣.عبد الناصر عبد العليم أحمد درة، طالب ثانوي، .

١٤ـ طارق عبد الموجود إبراهيم الزمر، طالب بكلية الزراعة، جامعة القاهرة، .

١٥.محمد طارق إبراهيم محمد، طبيب أسنان، .

١٦أسامة السيد محمد قاسم، طالب بكلية الآداب، جامعة الزقازيق، .

١٧.صلاح السيد بيومي علي، نقاّشً.

١٨علاء الدين عبد المنعم محمد إبراهيم، طالب بكلية التربية، جامعة الزقازيق،

١٩أنور عبد العظيم محمد محمد عكاشة، طالب بكلية التربية، جامعة الزقازيق،

٢٠.محمد طارق إسماعيل المصري، سائقً

٢١. علي محمد فرّاج علي، نجّار بالزقازيقً

٢٢.عبد الله محمد محمد سالم، طالب بكلية أصول الدين،

٢٣. صفوت إبراهيم حامد الأشوح، صيدلي، .

٢٤ ـ السيد علي محمد إسماعيل السلاموني، معيد بكلية التربية، جامعة عين شمس،ً

وقد حوكموا محاكمة عاجلة امام محكمة عسكرية حكمت بالاعدام على الخمسة الأول في قرار الاتهام وبالبراءة للأول والأخير

وتم تنفيذ حكم الاعدام في منتصف شهر ابريل ١٩٨٢ وتم ترحيل الباقين جميعا الى ليمان طرة

ثاني القضايا سميت بقضية أحداث أسيوط أو قضية الجهاد الكبرى وعدد المتهمين فيها(٣٠٢) متهم وصفت بأكبر قضية أو قضية القرن

وهذه القضية تم فيها ضم الذين حوكموا في قضية السادات اليها فصار على رأسها الدكتور عمر عبد الرحمن ثم ١٢ من جماعتي الجماعة الاسلامية والجهاد هم مجلس شورى التنظيم المدمج ثم تنظيمات متفرقة منها تنظيم الدكتور أيمن الظواهري وأودع المتهمون في هذه القضية في ثلاثة سجون ليمان طرة والاستقبال والقناطر الخيرية .

القضية الثالثة سميت قضية "الانتماء لتنظيم الجهاد" وكان عدد المتهمين أكثر من مائتين تقريبا وقد أودع المتهمين فيها سجن المزرعة

وكان على رأسهم الشيوخ عبد الآخر حماد ومحمد شوقي الاسلامبولي شفيق خالد ومجدي سالم والأستاذ منتصر الزيات المحامي

القضية الرابعة قضية الأحداث وهم الشباب أقل من ١٨ سنة وقد أودعوا سجن المرج ومن أشهرهم عصام عزام ومهاب رمضان

كما تم تخصيص سجن ليمان طرة للأسماء الأولى في قرار الاتهام وكان عدد منهم موجودا هناك في الليمان وهم المحكوم عليهم في قضية الاغتيال وعلى رأسهم الدكتورعمر عبد الرحمن والمقدم عبود الزمر وابن عمه طارق والشيوخ كرم زهدي وأسامة حافظ وعاصم عبد الماجد ولاحقا جيء بالدكتور ناجح ابراهيم من سجن القلعة والشيخ عصام دربالة وآخرين من سجن الاستقبال ثم بالشيخ رفاعي طه بعد القبض عليه بعد سنة من الأحداث وبذلك يكون قد اجتمع في ليمان طرة كل مجلس شورى التنظيم وهم مجموعة من قيادات الجماعة الاسلامية وقيادات من جماعة الجهاد التي كان يرأسها المهندس محمد عبد السلام فرج والتي اندمجت مع الجماعة الاسلامية قبل

الأحداث بالاضافة الى قيادات من تنظيم الدكتور أيمن الظواهري وهم الدكتور ايمن والمقدم عصام القمري والملازم جمال راشد

بالنسبة لليمان طرة كان المعتقلون موجودين بعنبري التجربة والتأديب وهما عنبران في أول السجن بحيث يكونان قريبان من الادارة وهما ملتصقان يفصل بينهما جدار ومبناهما من الحجر منذ أيام الانجليز بأرضية أسفلت يفرش بالبرش الليف وتحته مبيد للحشرات وفي كل زنزانة جردل للبول وآخر لماء الشرب وطبقان كبيران يسمى الطبق "قيروانة" مصنوع خصيصا للسجون من الالمونيوم الثقيل
وعنبر التجربة (عنبر ٤) مشهور في عالم السجون بأنه تأديب لعتاة المجرمين الذين لاتتحملهم العنابر العادية ولا عنابر التأديب لشراستهم ولهذا العنبر نظامه الخاص فسجانه يفخر بانه من أيام عبد الناصر وقد مر عليه مشاهير مصر من السياسيين والصحفيين وفي يوم أخرج كرسيا صغيرا وقال انه للأستاذ علي أمين مؤسس جريدة الأخبار المعروف

حياتنا الجماعية

في ظل اغلاق الزنازين وسوء المعاملة لم نكن نستطيع ممارسة حياتنا الجماعية أو حتى الحد الأدنى منها كما نريد
كما أنه لم يكن واضحا لنا كيف ستكون الحياة في هذا الواقع الجديد علينا عالم السجون؟ كيف ننظم حياتنا الشخصية؟
وكذلك الجماعية خصوصا والمكان ضيق جدا وكل المنافع مشتركة ولاتوجد خصوصية تقريبا كما أن وجود مساجين جنائيين بيننا لانأمن جانبهم من ناحية ويختلفون معنا في طريقة المعيشة وفي كل شيء من ناحية أخرى.
كما أن كثيرا من المشايخ يركزون اهتمامهم على الجوانب النظرية والعلم والعبادة أما صياغة الحياة المعيشية فهي صعبة عليهم تحتاج الى تجارب وخبرة بالحياة العملية اكثر من الدراسات النظرية . الى درجة أن بعض المواقف ظهر فيها عجز الشيخ عن ترجمة الكلام النظري الى واقع نعيشه في هذا العالم الجديد الذي تجمعنا فيه تفاصيل الحياة اليومية العامة والخاصة بما تحمل كلمة الخاصة من عادات كل واحد وطباعه وسلوكياته ومفاهيمه الخاصة ونظرته للحياة أي سينتقل كل منا بما يمارسه في بيته الى الجماعة وستنتقل الجماعة الى حياته في بيته وليس مجرد الاجتماع على عمل عام

نمارسه خارج بيوتنا ثم نعود اليها بل المكان الذي نعيش فيه جميعا هو البيت والمسجد والملعب والعمل والطريق وكل شيء وهذه هي الصعوبة إلا أن هناك عدة امور ساعدت على اقامة حياة متطورة نحو الأفضل والأكثر ملاءمة لهذا العالم منها:

١ ـ الاتفاق على القيادة الجماعية والسمع والطاعة للأمير فمازال مجلس الشورى هو القيادة وهذا ما أدى الى الالتفاف حول القرار كما ادى الى الحسم والقوة في تنفيذا القرار الذي تم التشاور بشأنه وهذا ما حمى هذه الحياة من تحولها الى غابة يأكل فيها القوي الضعيف كحياة المسجونين الجنائيين او الى مجموعات متخاصمة او شلل مؤثرة على نمط الحياة كما رأينا في بعض القضايا السابقة وحكي لنا عن جذور هذه الأوضاع السيئة المخالفة للمباديء التي سجنوا من اجلها

ـ التشاور ومشاركة الجميع في قرارات الحياة اليومية وكان ذلك عن طريق جلسة يومية بعد صلاة العصر يعرض فيها المسؤل أهم مجريات الأمور ويناقش فيها اي قرارات جديدة نحتاجها وهذه المناقشات كانت بمثابة مدرسة لتداول الخبرات والتمهيد للقرارات قبل اتخاذها

ـ أخلاقيات القيادة وخصوصا التي رسخت الحب والتراحم والألفة وأكبر هذه الأخلاقيات تأثيرا في الحياة الجماعية هو القدوة فعمليا أرست القيادة مبدأ أن الأمير آول من يعطي وآخر من يأخذ وأول من يستيقظ وآخر من ينام وهذا هو مربط الفرس في الحياة الجماعية . إن أحدا من القيادة لم يخطب في هذا المعنى وانما عشناه:

ـ فرأينا الأمير يأتي عليه الدور في ما كنا نسميه النبطشية أي عليه أن يكنس العنبر ويطبخ ويوزع الطعام مثله كأصغرنا

ـ ورأينا الأمير يتمم على احتياجاتنا أولا وقد يتبقى له أو لايتبقى

ـ كان الأمير آخر من يخرج من العنبر الى الجلسة بعد أن يكون قد تأكد من خروج كل واحد ومعه احتياجاته .

ـ لم يحدث أن أحدا من المسؤلين تميز عن بقية اخوانه بشيء من المنافع العامة بل كان العكس

ـ كان الاخوة الكبار هم أكثرنا تبرعا من أموالهم لمصاريفنا العامة

لقد كنا في شوق شديد لرؤية الأخلاق الاسلامية مجسدة في التعامل الحقيقي بين المسلمين فلما رأيناه في القيادة سلمنا لها قياد حياتنا في هذا العالم المجهول وعذرناها وصبرنا معها على قلة خبرتها بهذه الحياة الجديدة

ـ الاستعداد للاستفادة من تجارب من سبقنا في عالم السجون سواء كانت هذه التجارب مكتوبة كما في كتابات الاخوان المسلمين او مازالت معاشة كما هي في حياة الموجودين في السجن مثل المحكوم عليهم في قضية الفنية العسكرية بسجن المزرعة وان كانت هناك فروق كبيرة في بعض الأمور أو حتى من حياة المسجونين الجنائيين التي كانت تمثل مثال العكس ببشاعتها في أكثر جوانبها حتى انه كان من المنفر ان يقال وهل سنكون مثل الجنائيين الذين يفعلون كذا وكذا؟

ـ التجاوب مع نقاط التحول التي حدثت في مسيرة الحياة جعلتنا نستوعب عالم السجون فننتقل الى الأوضاع الأكثر ملاءمة .

نقاط التحول في حياتنا في السجون

١ـ نقطة تحول في نظرتنا لأنفسنا

تجمع الناس في نظام حياة بدون سابق معرفة بينهم أمر صعب خصوصا مع اختلاف الطباع والعادات والتقاليد

وتزيد الصعوبة مع قلة الموارد والمرافق المشتركة كدورات المياه ومساحة المكان مثلا واذا لم تكن هناك ضوابط للمعاملة فإن مشكلات ضخمة يمكن أن تقوم منها التعصب ثم التنازع العصبي بين العصبيات الموجودة ولذا ان تجارب مصلحة السجون تجعلها تفصل بين أبناء الوجه القبلي والبحري كما سبق وأشرنا وتظل هناك صعوبات ومشاكل الى أن تتشكل العلاقات وتبدأ أنفاس العِشرة تؤتي ثمرتها بنوع من التعارف ثم التراحم ثم التحاب والتواد ويتم أيضا الاتفاق على ضوابط ونظام للتعامل بين الجميع

وقد كانت هناك في البداية عدة ظواهر نتيجة هذا التجمع منها:

ـ وجود تكتلات بين أبناء كل محافظة والتفاف حول قيادة لهم فهؤلاء أسايطة يلتفون حول د.ناجح ابراهيم وهؤلاء منياوية وهكذا

ـ جمود في العلاقات بين الذين لم تسبق معرفتهم ببعض

ـ وجود بعض المشاجرات خصوصا بين غير المتعلمين ورغم أنهم كانوا قلة إلا أن مشاكلهم كانت مزعجة

والأهم من كونها مزعجة انها كانت تعبث بعامل نفسي خطير وهو فكرة هذا التجمع عن نفسه خصوصا عندما يكون الشجار وما حدث فيه منحدرا الى مستوى يتناقض تماما مع الرسالة التي يدعو اليها وقام من أجلها وضحى الشهداء من أجلها بأرواحهم ودمائهم

هذه النقطة كفيلة بإقامته كيان أو تدمير اذا لم تعالج معالجة صحيحة

ففي البداية قبل أن يوضع نظام لحياتنا كانت القيادة تكتفي بالموعظة والدروس المستفادة ومحاولة الصلح

وكان هناك رادع معنوي شديد وهو فكرة الكيان عن نفسه فكان كثيرا ما يقال : انتبهوا الى أنكم مجاهدون وما حدث هذا يخالف صفات المجاهدين وإن العالم كله ينظر اليكم فكيف اذا رآكم وأنتم أصحاب المباديء ترتكبون هذه الأفعال الصغيرة؟

كان هذا القول رادعا يشبه السيف على رقابنا وكم كان مؤذيا لنا الى درجة كبيرة لكنه في نفس الوقت كانت له نتيجة سلبية خطيرة فهو محبط ويقذف بكل منا في دوامة السؤال :هل نحن فعلا أهل لهذه الرسالة؟ كيف ونحن تصدر منا هذا الأفعال؟

هذا السؤال كان يحدث تناقضا شديدا بين واقعنا ومثاليتنا.

نقطة التحول هنا نشأت عندما استمرت هذه المشكلات وأخذت تبدو أنها طبيعية

وتمت نقطة التحول عندما ألقى الشيخ حمدي عبد الرحمن درسا من السيرة صحح فيه فكرتنا عن أنفسنا حيث ركز على أننا بشر وأن مجتمع النبي وقعت فيه بعض المشكلات واقترفت فيه بعض الآثام وضرب أمثلة وبالتالي لايمكن أن نتصور مجتمعا يخلو بنسبة ماءة في المائة من المشاحنات والمشكلات وإنما العبرة بأمور أهمها ماهي نسبة هذه البقع السوداء الى بقية الثوب الأبيض؟

ثم كيف يتم التعامل مع هذه الأمور؟ وحتما عندما تكون هناك طريقة شرعية صحيحة للتعامل مع الخلافات والمنازعات فلا بد أن يتطور الأمر الى الأحسن.

كان هذا الدرس نقطة فارقة كبيرة جدا في نظرتنا لأنفسنا وتعديل أو تخفيف النظرة المثالية المتناقضة مع واقعنا التي تضعنا تحت ضغط وفي خانة العجز عن الكمال المطلوب وبالتالي الاحباط واليأس عن محاولة اصلاح واقعنا وأنفسنا قبل ذلك.

هذا الدرس أزاح الضغط وأحدث نوعا مما يسمى بالتقبل الممهد للاستجابة للاصلاح والتطوير فقد بدأنا نتقبل واقعنا ونصحح فكرتنا عن أنفسنا فنحن بشر نصيب ونخطيء لكننا مطالبون بإصلاح أنفسنا ونحن مسلمون ولسنا مميزون بشيء خاص عن كوننا مسلمين ولعل هذا الدرس كان بذرة التربية على أننا لسنا طائفة مميزة دونا عن بقية المسلمين.

كان هذا التعديل على مستوانا الجمعي أما على مستوى نظرة كل منا لأخيه فقد كانت هناك مشكلة اذ يمكن لأحد أن يتساءل كيف يكون هذا هو الشيخ فلان وهو يخطيء أو به عيب أو طبع ما؟

فجاء الدرس الفارق من الدكتور ناجح ابراهيم بعنوان "الانسان يوزن بحسناته وسيئاته معا" وليس بسيئاته وحدها وهذا الدرس عدل نظرة كل منا لأخيه وفق هذا الميزان العادل فإذا أضيف التقدير ولاحترام الذي نشأ عن حوارات الجمعة مع كل واحد منا لتظهر الجوانب الخفية من شخصيته فإن قدرا من الاختراام قد نشا ثم تطور مع دوام العِشرة والاحتكاك الكاشف عن الأخلاق.

كما جاء تدريس الشيخ اسامة حافظ لكتاب العواصم من القواصم وخلاصته أن بعض الناس أخذوا يجمعون لعثمان بن عفان رضي الله عنه ويتصيدون الأخطاء ويضعونها بعضا فوق بعض حتى صارت جبلا يستبيحون به قتله وهو صاحب رسول الله المبشر بالجنة الذي له من الحسنات كالجبال رضي الله عنه ولو وضعوا كل ما ادعوه مقابل حسنة واحدة لأفاقوا من هذه الغفلة المهلكة .

أما العامل الكبير الذي أثر كثيرا على نظرتنا لأنفسنا فهو النظام الذي وضع وأنهى مرحلة الاعتماد على المواعظ وحدها في حل الخلافات والمشاجرات.. هذا النظام أراح كل واحد فينا فقد تحددت حقوقه وواجباته واستطاع أن يعدل نظامه الشخصي وفق هذا النظام العام الذي كفل له عدم اصطدامه بنظام غيره وبالتالي استقر نفسيا فلم يظهر منه جانب الغضب والسخط . لقد بدأ كل منا يعيش بطبيعته أو قريبا منها فشعر بشيء من الانسجام مع اخوانه كفرادى ومع المجموع ككيان

ومن هنا اعتمدت حياتنا الجماعية على أساسين هامين:

الأول القيم والمباديء والمفاهيم الاسلامية السليمة التي أنشأت أعرافا جميلة

أذكر هنا أن الشيخ طلعت ياسين رحمه الله ألقى درسا شرح فيه الحديث الجميل (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه) ثم نزَّله على واقعنا ونبه الى أن بعض الاخوة يأتون لزيارتنا من العنبر الآخر فلا نستقبلهم بصفة جماعية ونترك كل أحد ليستقبله معارفه واعتبر هذا ليس من اكرام الضيف فقد يكون هذا الأخ قد جاء لنا جميعا وليس له من يعرفه فهو جاء ليسلم علينا بصفتنا اخوانه ؛وبالتالي ليس من اكرامه ما يحدث وهو أن يراه أحد اخوانه وهو لايعرفه ثم يتركه ويدخل الى زنزانته .ومن يومها تداركنا هذا الخطأ في حياتنا وأصبحنا اذا دخل العنبر أي أحد لزيارة أي أحد نستقبله جميعا ثم نُجري معه حوارا ثم نقدم له هددية باسم العنبر ثم نودعه جميعا وصار هذا عرفا بيننا.

الثاني النظم والقوانين والضوابط الصحيحة التي أنشأت استقرارا نفسيا وواقعيا فقد وضع جدول زمني لليوم والليلة تقيدنا به

وأذكر أننا كنا نجلس في درس فجاء اللبن للمرضى فقام مسؤل اللبن لاستلامه وتوزيعه وأراد أن يقوم بذلك دون أن يقوم أحد من الدرس لكنه وجد أواني بعض الاخوة غير نظيفة فاضطر أصحابها للانصراف من الدرس وعطلوا توزيع اللبن والدرس أيضا وهنا أتخذ الدكتور ناجح هذه الفرصة ليشرح لنا باب "وظائف اليوم والليلة" في كتاب "مختصر منهاج القاصدين" وأن لله عمل بالليل لايقبله بالنهار وعمل بالنهار لايقبله بالليل؛ فلكل وقت وظيفته والحياة ونظامها لا يتركنا نخالف هذا النظام فوقت غسل الأواني كان قبل الدرس كان يجب ذلك على الجميع ومن يخالف فسيضطر لتحمل ارتباك نظام يومه وتعارضه مع عمل آخر كما حدث.

وأذكر أيضا أن اثنين من أفاضل الاخوة اختلفا فارتفعت أصواتهما وصارت بينهما مشادة .. وكان أحدهما مسؤل العنبر(كنا نسمي المسؤل أيامها الأمير) فأساءنا هذا الموقف نفسيا جدا ولكن في اليوم التالي فوجئنا بتعليق مسؤلية المسؤال لحين انتهاء التحقيق فيما حدث وسبب التعليق حتى لايكون هناك حرج من المحققين معه ..ثم اعلنت نتيجة التحقيق وتم تعزير الاثنين ثم عودة المسؤل

وكما أستأنا كثيرا بسبب المشادة سعدنا كثيرا بالعدل ووضوح الضوابط وبأن الكيان أكبر من المسؤل.

ومن هنا فإن علاقاتنا تطورت مع الوقت والعشرة وظهورشخصية كل منا تطورا هائلا يجعلني أكرر أن الحياة مع هذه المجموعة كانت متعة رغم قسوة الظروف وانعدام الموارد والامكانيات.

٢ـ نقطة تحول في نظرتنا لفترة السجن

في البداية كان الغموض سائدا لنظرتنا لفترة السجن وقد ساعد على هذا الغموض

ـ التحقيقات وما كان يها من اعترافات أدى الى الاحساس بأن كل شيء انتهى وفشل بما في ذلك كيان الجماعة وبناؤها

ـ الشبهات والانتقادات التي أثارها المعارضون للأحداث من السلفيين والاخوان وغيرهم خصوصا وهم مضارون من آثارها

ـ توقع شدة الاحكام

ـ جدية عالم السجون علينا فهذه أول مرة نواجه هذا المجتمع وكيف سيواجه الانسان هذا المصير

الا أنه مع الوقت بدأت الصورة تنتقل تدريجيا من القتامة الى الغموض الى الوضوح التام لهذه المرحلة التي تعد مصيبة وبلاء لايستهان به في حياة الانسان وفد ساهم في الوصول الى هذا الوضوح :

أـ صدق القيادة وثباتها وإصرارها على استكمال المسيرة داخل السجون رغم توقعها للاعدام

هذه الاصرار والصمود جعل القيادة تقف وقفة قوية تجاه الفوضى وتذكر بأن فترة السجن محسوبة من عمرنا ليست مخصومة منه وأن لنا أهدافا لم تنته بعد وان علينا ان نضع لأنفسنا أهدافا نستكمل بها المسيرة فقريبا ستصدر الاحكام ونكون بين مفرج عنه وبين باق لتنفيذ الحكم وكلنا يحتاج الى استعداد لما بعد ذلك والى أن يكون ذلك جماعيا لافرديا

ـ وأن الموت لن ينتظرحتى نخرج من السجن فمن الايمان عدم تضيع الوقت وانما الاستعداد الدائم للقاء لله

كانت هذه النظرة التي أفرزها الثبات والصمود والاصرار وهذا التوجيه مقدمة بني عليها لملمة الكيان سواء كيان الجماعة الاسلامية أو كيان المعتقلين باختلاف انتمائهم والعمل في السجن ككيان واحد يجتمع على نظام حياتنا داخل السجن وكانت هذه ثاني ترجمة للاعتصام بالله بعد الاعتصام بالعقيدة الصحيحة وترسيخها والاعتناء بدراستها والتحصين من البدع المخالفة لها
جاء هذا التوجيه عبر ورقة تم توزيعها على الزنازين خاطبت ابناء الجماعة الاسلامية باعتبارهم كيانا لايزال يسعى لتحقيق أهدافه وبناء على ما سبق خلصت الى أن تحقيق اهدافنا يحتاج الى عدة أمور أهمها نوع من الاستقرار وخصوصا في تعاملنا مع الادارة
ومن المواقف التي قوت فكرة كوننا كيانا واحدا أن مشاجرة وقعت بين أحد اخوة الجماعة الاسلامية وأحد الاخوةالعسكريين(ضابط جيش) من تنظيم آخر فانتدب الدكتور ايمن الظاهري مع آخرين للتحقيق في هذا الشجار وتقديم تقرير علني بعد صلاة العصر
فقال في التقرير: (نحن نؤكد على اننا هنا في السجن جماعة تشبه جماعة السفر يرأسها الدكتور عمر عبد الرحمن نحن نسمع له ونطيع مادمنا في السجن فاذا خرجنا فلكل منا انتماؤه وجماعته)
ب ـ تحمل القيادة للمسؤلية وتقدمها وتصديها لها رغم ان الظروف كانت تدعو لعكوف كل على شأنه مادام العمل الذي قمنا لأجله قد فشل وانتهى كل شيء .
ويبدو ان بعض أو بمعنى أصح أحد القيادات كانت قد جنحت الى هذا المسلك غير أن تآزر اخوانه معه وقوة تيار الحياة الجماعية حمله معه مستجيبا للواقع الجماعي الثابت القوي المتجه للمستقبل وليس باجترار الماضي
جـ ـ استفادة القيادة من خبرات السابقين في عالم السجون من الجماعات الاسلامية الأخرى خصوصا الموجود منهم في السجون آنذاك مثل قضية الفنية العسكرية وقضية التكفير

٣ـ نقطة تحول في تعاملنا مع الادارة

في البداية كان تعامل كل احد مع الادارة فرديا ولاتوجد سياسة محددة للتعامل مع اعضاء الادارة .. يدخل الضابط العنبر فالبعض يرى ضرورة أن يقف معه ويكسب وده بينما آخرون يسيئون اليه عاتبين على النوع الأول وإذا أرادت الادارة أحداً أرسلت اليه

الا أنه حدثت مواقف منها مشكلة كبيرة مع ضابط العنبر أدت الى اقتناع الادارة بأن تعاملها مع مندوب منا افضل من التعامل مع كل على حدة
كما أن الادارة كانت في البداية تفضل أن يتكلم كل عن نفسه ولكنها فشلت في فرض هذا المسلك حيث حدثت مواقف ظهر فيها التحدي بين الادارة من جهة وبين قيادة المعتقلين من جهة فانتصرت في النهاية ارادة المعتقلين
من هذه المواقف مثلا ان الاخوة امتنعوا عن دخول الزنازين اعتراضا على حرماننا من حقنا الطبيعي في الفسحة فصدرأمر من الشيخ عبود بعدم دخول الزنازين فجاء المأمور واصدر اوامره بالدخول والا ولكن رفض الاخوة الدخول وحدث اشتباك بينهم وبين العساكر وكبرت المشكلة ولم يدخل الاخوة الا بالقوة الضاربة وكان مقصوداً أن تصل الادارة رسالة أننا لن نتعامل إلا ككيان وقد حدث فعلا اقتناع الادارة ان معاملتنا ككيان أريح لها وبالتالي تم الاتفاق على وجود مندوب من الاخوة يكون مسؤلا عن التعامل مع الادارة وقد تطور هذا الامر تطوراً كبيرا واتفقنا على سياسات للمندوب ومنع تعامل اي احد مع الادارة الا من خلال الأخ المسؤل فساهم هذا الوضع الى حد كبير في استقرار الأوضاع .
ـ وقد ساهم في استقرار الأوضاع وتقبل الاخوة لوجود نظام جماعي فهمنا لطبيعة عمل ضباط السجن فكنا نعتبرهم هم النظام الذي يعادينا لكنهم كثيرا ما كانوا يقولون: نحن أمناء مخزن ليس من سلطتنا أن نحبس أحدا ولا نفرج عنه نحن ننفذ فقط كما كانوا يقولون: لاعلاقة لنا بسيرة اي أحد في الخارج ولا ما ارتكبه ما يهمنا هو سلوك المسجون في داخل السجن ولن نجامل أي جهاز أمني آخر في تأديب أحد من يريد أن يؤدب احدا فليكن بعيدا عنا ويتحمل هو مسؤلية ذلك لايحملوننا نحن هذه المسؤلية (هذه النظرة كانت بالفعل سائدة في الماضي لكنها تغيرت فيما بعد وتدخلت أمن الدولة في السجون)
ـ كما ساهم في استقرارالمعاملة بيننا وبين الإدارة أنها بدأت تقتنع بأن الأفضل لها أن تعطينا قدراً من الحقوق يكفي لإقامة حياتنا الطبيعية ومعايشنا والتالي سننشغل بالدراسة (ومعظمنا طلبة) وبالقرآن والمراجعة ونمارس من الأنشطة ما يشغلنا عن أي مشاكل مع الإدارة
أي بدأت تفهم الفرق بين المسجون السياسي والجنائي الذي لايجد ما يشغله فيختلق المشاكل بينما السياسي إذا وجد الحد المقبول من الحقوق انشغل

بأنشطته وتثقيف نفسه . فهمت أن كثيرا من الممنوعات الخطيرة التي يستعملها المسجون الجنائي لاتشكل أي خطورة في يد السياسي كالمواد التي يتم تحويلها لمسكرات مثلا . وكذلك المعادن كالملاعق فهي في يد الجنائي سلاح يشوه به وجه زميله لأتفه سبب ولذلك فقد سمحت لنا مرة بدخول زجاجات الكوكاكولا وسط ذهول شديد من الجنائيين فهذا أمر مستحيل ولو تم لتحول السجن لميدان معركة طاحنة.

٤ـ نقطة تحول في تنظيمنا للبرنامج اليومي

في البداية كان كال منا حراً في وقته طوال اليوم ولايوجد ما يجمعنا ثم صار هناك اجتماع على الدروس ولكن اختياريا كل ذلك نتيجة عدم وضوح معالم حياتنا في السجون كيف تكون.

وقد كان لهذا الاستقلال والانفراد آثار سلبية كثيرة فهو يشبه الفوضى التي تتضارب فيها المواعيد والمصالح فبينما هؤلاء يريدون أن يلعبوا هؤلاء يستعدون للاجتماع لدرس في نفس المكان! وهؤلاء يلعبون في وقت نوم غيرهم! وكان حل هذه المشاكل كلها يعتمد على تذكير الاخوة ووعظهم أو حلول جزئية لاتمنع تكرار المشاكل .

إلا أننا بين حين وحين كنا نعقد معسكرا على نظام المعسكرات التي كانت قبل السجن لعدة ايام وتنتهي.

بعد فترة من المشاكل وتفاقم سلبيات العشوائية والفوضى وضعت القيادة برنامجا لليوم يلتزم به الجميع يبدأ بالطابور الرياضي ثم الافطار والاستعداد لحلقات الدرس الجماعي وينتهي اليوم بدرس خفيف بعد صلاة العصر ثم جلسة للمسؤل يتناول بعض امورنا العامة وقبيل المغرب نفرش للصلاة فيهفو الاخوة الى المكان ينتظرون الصلاة ويذكرون الله بأذكار المساء وربما دعونا دعاء جماعيا خصوصا اذا ختم أحدهم ختمة الورد أو كنا صائمين

وقبيل الدخول للزنازين كان الشيخ محمد مختار ينشد بصوته الجميل بعض الأناشيد الجميلة فنلتف حوله ونردد بحماس ملتهب فيعطينا دفعة قبل الدخول البغيض الى مزيد من تقييد الحرية خصوصا في حر الصيف الشديد

ومن هذه الأناشيد:

يا إلهَ الكونِ هل يُرضيك أنا ...إخوةٌ في الله للإسلام قمنا
ننفض اليوم غبارَ النومِ عنا ...لانهابُ الموتَ بل نتمنى

أن يرانا اللهُ في ساح الفداء

.....

إنَّ نفساً ترتضي الاسلام دينا ...ثم ترضى بعده أن تستكينا
أو ترى الإسلام في أرضِ مَهينا...ثم تهوى العيشَ نفسٌ لن تكونا
في عِداد المسلمين الأوفياء

.....

آن للدنيا بنا أن تطهرا...نحن أسد الله لا أسد الشَرى
قد قطعنا العهدَ أن لانقبرا... أو نرى القرآن دستورَ الورى
كل شيء ما سوى الدينِ هَباء

.....

قد أثارت دعوةُ الاسلام فينا ...روح آباءٍ كرامٍ فاتحينا
أسعدوا العالمَ بالاسلامِ حينا...فانطلقنا للمعالي ثائرينا
وتسابقنا الى حمل اللواء

.....

حَبذا الموت يريح البائسين...ويرد المجدَ للمستعبدين
فلنمت نحن فداء المسلمين...سادةَ الدنيا برغم الكافرين
وليسُد في الأرض قانون السماء

.....

غيرنا يرتاح للعيش الذليل ...وسوانا يرهب الموت النبيل
إن حيينا فعلى مجد أثيل...أو نُعينا فإلى ظلٍ ظليل
حسبنا أنا سنمضي شهداء

وقد وجد النظام الجديد للبرنامج اليومي معارضة في البداية ولكن القيادة نظرَّت وأصلت لهذه الأمور شرعا ولعل هذا ما أدى الى الحديث عن السمع والطاعة وضرورة النظام في حياتنا المعيشية وكان وضع هذا النظام من أوائل الأمور التي رسمت شخصية الدكتور ناجح ابراهيم حيث كان كثير من الاخوة يذهب اليه غاضبا ومستنكرا البرنامج الجديد وطالبا على الأقل استثناءا له ليستكمل برنامجه الشخصي الا انه يعود من أمامه راضياً سعيداً رغم أنه لم يوافقه على طلبه بعد حوار هاديء مقتع.

٥ ـ نقطة تحول في أمورنا المعيشية

في البداية كان اعتمادنا على تعيين (طعام) السجن وجرايته(خبزه)

وتعيين السجن انواع أطعمته محددة لايمكن تغييرها (أرز ـ عدس ـ فول) بالتبادل بينها واللحم مرتين تقريبا في الاسبوع ولآنها أنواع محدودة توزع وفق جدول ثابت لايتغير قيمكنك ان تعرف اليوم من معرفتك لنوع تعيين اليوم لذلك يعاني المسجون من الملل والشوق الى أي تجديد في الطعم
كما يتميز طعام السجن غالبا بالرداءة فلايوجد وجه شبه بين الطعام وبين حقيقته في خارج السجون الا في الاسم حتى انك تفاجأ بأن هذا هو ما يسمى كذا لذا لا يقوى الانسان على تناوله الا بضغط من الحرمان الشديد
وهناك انواع اخرى خفيفة مثل الجبن والمربى او العسل الاسود لاتمت الى هذه الانواع الا بصلة واحدة هي الاسم فقط فالمربى غالبا ما تكون برتقالا او نارنجا لاذعا والعسل لابد ان يكون حامضا اما الجبن فيصعب تكسيرها
كما يسلم كل مسجون قطعة عجوة مسوسة كل اسبوع
وقطعة صابون مصنعة خصيصا للسجون بحيث تستمر معه فهي محدودة الرغوة طويلة العمر!

الأرز بالفضلات الآدمية

كانت أوعية التعيين (الجرادل) تصنع خصيصا للسجون ليستعمل بعضها في توزيع التعيين وبعضها في الزنازين لقضا ء الحاجة فيها أو لملأها بالمياه ولذا فاننا فوجئنا ذات يوم ونحن نأخذ الأرز من جردل التعيين بقطع غريبة في آخره وكانت صدمة فقد وجدناها قطعا من البراز الآدمي
والأغرب من ذلك اننا ظننا ان هذا الخلل الخطير سيقلب الادارة او يزعجها لكنها تناولت الأمر ببساطة

مطبخنا الخاص

بعد فترة وافقت الادارة على إدخال سخانات وتخصيص مكان "العروسة" للطبخ فيه والعروسة شخص خشبي كبير يصلب عليه المسجون عند جلده وكان موضوعا في زنزانة بلا باب في وسط العنبر ثم تم اخراجه
فبدأنا نطبخ ونوزع وكان تمويل هذا المطبخ من تبرعات طوعية تخصم من حساب أمانات من يرغب حسب نظام الكانتين او المقصف أما من يقوم بأعمال المطبخ فهو بالتناوب بيننا حسب ترتيب الزنازين ويسمى هذا النظام (توزيع النبطشية) وهو أمر داخلي فيما بيننا ولم يكن يستثنى احد من هذه النبطشية اللهم الا الدكتور عمر لظروفه الصحية فكنا نرى الاخوة الكبار والمسؤلين يقومون بالخدمة والنظافة واعداد الطعام وتوزيعه كغيرهم

الكانتين أو الميز او المقصف او الكافتيريا هو نظام لبيع السلع تديره ادارة السجن ولايتم فيه تداول عملات وانما كل مسجون يحول له أهله المال على السجن بالبريد فتوضع في أماناته ويتم السحب منها الى كشوف الكانتين حسب طلبه فيطلب بقيمة المبلغ المنزل ما يشاء من السلع المتوفرة في الكانتين وكان شاويش الكانتين يأتي الى العنبر لينزل المبالغ ويكتب البضاعة المطلوبة لكل واحد ثم يأتي بهذه البضاعة ثم تم تنظيم هذا العمل بنظام جماعي فتم تحديد احد الاخوة للتعامل مع شاويش الكانتين على ان يتولى هو تنظيم الأمور داخليا فيما بيننا ثم يقوم بتسليم شاويش الكانتين قائمة بالأسماء والمبالغ وقائمة بالطلبات اما ترتيبها داخليا فمسؤل المطبخ يحدد طلباته ويسلمها لمسؤل الكانتين الذي يتولى توفير المبلغ المطلوب بالاتفاق مع الاخوة أصحاب الأمانات إذ لم نكن جميعا لدينا مبالغ في الأمانات خصوصا ولم تكن هناك اي طلبات خاصة لصاحب الكانتين وانما كل مانشتريه هو للمطبخ الخاص بنا

ومن الجميل اننا لم نضطر الى وضع نظام بالتساوي ولا أي نظام يفرق بين غني له حساب وفقير ليس له حساب أي لايرسل له أهله اي مبالغ لم يكن هناك أي فرق وكان كثير من الاخوة يفوض مسؤل الكانتين في تحديد المبلغ الذي ينزله على حسابه حسب طلبات المطبخ وكانوا يتسابقون على التبرع خصوصا في رمضان

بعد فترة لاحظ بعض الاخوة وجود فروق مادية بين الزنازين ووجود زنازين معدمة فتطوعت مجموعة سميت مجموعة "فضل الزاد" مرت على الزنازين وذكرتهم بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم (من كان له فضل زاد فليعد به على من لازاد له) ثم أخذت وأعادت توزيع الموجود في العنبر على الجميع فكانت كل زنزانة تعطي الزيادة وتأخذ ما ينقصها.

الزيارة

أما الزيارة ففي البداية كان كل من تأتيه زيارة يتصرف فيها وغالبا ما كان يوزع منها على من يريد او يدعوهم الى وليمة عنده فلما استمر هذا الحال اصبح من يدعو يُدعى ليرد له الجميل وهناك من لايدعو إذ أنه لا تاتيه زيارات الا على فترات بعيدة وبالتالي فلا يُدعى فصارطعام الزيارات دولا أي متداولا بين أصحاب الزيارات وحدهم الا قليلا من غيرهم

فظهر للجميع عدم مناسبة هذا النظام لنا كمسلمين واخوة نعيش في مكان واحد
وطالب بعض الاخوة بوضع نظام عام يتم من خلاله توزيع الزيارة وبالفعل نوقش هذا الموضوع فتم الاتفاق على منع نظام الولائم وصار من يريد التبرع يرسل ما يتبرع به الى المطبخ وهو يقوم بتوزيعه على الجميع وكان هذا النظام مباركا حيث تجمع كل التبرعات في المطبخ وتوزع على الجميع ومع الوقت اصبح كثير من الاخوة يذهب بزيارته كلها الى المطبخ
وكان اخوة القاهرة يزورون مرات أكثر لقرب بيوتم من السجن نسبيا عن المحافظات النائية

٦ـ نقطة تحول في حياتنا العلمية

في البداية لم يكن يجمعنا نظام واحد للتعليم وكانت الكتب متوفرة وكل منا يضع لنفسه برنامجه وينفذه مع نفسه فكانت حياتنا العلمية تعتمد على اجتهاد كل واحد الشخصي اللهم الا بمسألة العذر بالجهل التي اهتم بهاالشيخ عصام دربالة نظرا لوجود من لايعذر بالجهل وامكانية نشره لهذه الفكرة ومن هنا بدأ الشيخ عصام يرتب لدروس في هذا الموضوع أثناء الفسحة رغم قصرها ثم تطور هذا البحث وتكررت دراسته
ثم صارت هناك دروس الحضور فيها اختياري في باب الايمان
بعد فترة وضع نظام عام لقضاء اليوم وجدول للدروس واصبح الحضور اجباريا للجميع
اما من حيث مواد الدراسة فقدكانت دراسة الفقه حسب المدرس وكنا في عنبر التجربة ندرس من كتاب " نيل الأوطار للشوكاني" وهو كتاب مقارن يعرض أقوال المذاهب في المسالة الواحدة فشكا كثير من الاخوة من التشتت .
بعد فترة أعد الشيخ طلعت فؤاد بحثه (غاية التقصي في الاجتهاد والتقليد) وبناء عليه تم تحديد كتب مذهبية مثل العدة في الفقه الحنبلي.
ثم وضع منهج كامل وشامل للمواد الدراسية شرعية وغير شرعية واستكملت الدروس بالندوات وأيضا ببرامج الاذاعة
وقد حفلت حياتنا العلمية بالتنافس الشديد والامتحانات والجوائز
ومن الطريف أنا كنا ننظم مسيرات نراجع فيها الاحاديث والمتون جماعيا
وعند يوم النطق بالحكم كنا قد انتهينا من البرنامج الآتي :

ماتمت دراسته

الفقه: تمت دراسة الفقه كاملا من كتاب العدة في الفقه الحنبلي لابن قدامة مع كتاب الكافي له أيضا

ـ بعض الأبواب مثل نظرية العقود ـ الأحكام السلطانية للماوردي ـ باب الجهاد من الفقه المقارن (المغني ـ نيل الأوطار) ـ محاضرات مستفيضة في فقه المواريث

بعض الأبحاث الفقهية مثل بحث أصناف الحكام وأحكامهم ـ بحث في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ بحث في وجوب العمل الجماعي ـ بحث حكم الطائفة الممتنعة عن شريعة من شرائع الاسلام ـ

اصول الفقه: كتاب الوجيزفي أصول الفقه للدكتور عبد الكريم زيدان مع كتاب اصول الفقه للشيخ محمد ابو زهرة مع اصول الفقه للشيخ عبد الوهاب خلاف + بحث " غاية التقصي في الاجتهاد والتقليد أعده م/ طلعت فؤاد قاسم ـ نظرية الضرورة لوهبة الزحيلي ـ نظرية العقد

اللغة العربية: التحفة الأجرومية وشرحها ـ البلاغة المقرر على الصف الأول الثانوي الأزهري ـ دروس في النحو والبلاغة ـ عرض كتاب التصوير الفني في القرآن سيد قطب

مصطلح الحديث: متن البيقونية وتيسير مصطلح الحديث للطحان ـ

العقيدة: العقيدة الطحاوية كاملا بالاضافة الى توسعات في كتاب الايمان من شرح الامام النووي لصحيح مسلم +معارج القبول + كتب الايمان لابن تيمية ـ بحث في باب الايمان أركانه ومسائله

+ ابحاث في العقيدة مثل: بحث العذر بالجهل وأثره على أفعال المكلفين + بحث الرد على بدعة التكفير ـ بحث الموالاة وانواعها

السيرة : الرحيق المختوم + نور اليقين في سيرة سيد المرسلين للشيخ الخضري + فقه السيرة للبوطي

مع توسعات من سبل الهدى والرشاد في هدي خير العباد + سيرة ابن هشام + وقفات تربوية في السيرة مع الشيخ حمدي عبد الرحمن

الحديث : حفظ الخمسين الرجبية ودراسة شرحها لابن رجب + شرح ابن دقيق العيد للاربعين النووية وشرح النووي كذلك ـ قراءة رياض الصالحين للامام النووي+ بعض الأبواب من فتح الباري شرح صخيخ البخاري لابن حجر

الرقائق : إحياء علوم الدين كاملا شرحه الدكتور احمد عبده سليم ـ الجزء الأول والثاني من مدارج السالكين + المائة صفحة الأولى من اغاثة اللهفان + قراءة الداء والدواء والفوائد ـ لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي + صيد الخاطر لابن الجوزي

الدعوة : ـ أصول الدعوة للدكتور عبد الكريم زيدان ـ بحث الدعوة الى الله

التاريخ: السيرة النبوية ـ فقه السيرة ـ تاريخ الدولة الاسلامية في خلافة الخلفاء الاربعة ـ الفتوحات الاسلامية وحروب الردة ـ الدولة العثمانية المفترى عليها ـ العواصم من القواصم ابو بكر بن العربي

السياسة : المدخل الى علم السياسة ـ المصطلحات السياسية

مع عرض بعض الكتب في الفكر السياسي مثل: لعبة الأمم ـ احجار على رقعة الشطرنج ـ ايران من الداخل ـ الاخوان المسلمون لمايلز كوبلاند

ندوات سياسية في ملفات: قناة السويس ـ الازمة اللبنانية ـ القضية الفلسطينية ـ البترول ودوره في السياسة العالمية ـ الثورة الإيرانية ـ

دراسات قانونية : قانون الاجراءات المصري ـ لائحة السجون المصرية .

هذا ماتم تدريسه للجميع غير القراءات الشخصية

٧ـ نقطة تحول في تعاملنا مع الحراسة الليلية

كانت الحراسة الليلية تتكون من حارس بالاضافة الى مجندين تابعين لمعسكر الأمن المركزي وكان هؤلاء يبيتون معنا في طرقة العنبر وكان باب الزنزانة به فتحة مستديرة تسمى النظارة وبعد شكوانا تم توسيعها وكان المجندون يطلبون بعض الأشياء مثل الشاي والسكر وكان الشاي ممنوعا في لوائح السجون ولكن كنا نتحصل عليه بطريقة استثنائية وبالتالي كان الاخوة يوزعونه علينا كل يوم قبل الدخول للزنازين حسب الطلب ..وفي فترة نفد الشاي من العنبر في فترة قصيرة وشعرنا بوجود مشكلة أو لغز في نفاد الشاي بسرعة ولم يحل هذا اللغز الا مجند من "حرس الليل" حيث قال بعفوية إنه يشيع في المعسكر ان من دعت له أمه يتم اختياره لحراسة ليلة واحدة عند السياسيين لأنه سوف يتحصل على كمية شاي كبيرة يبيعها بالشيء الفلاني ! فاذا بنا نكتشف ان المجند يطلب من كل زنزانة بعض الشاي (تلقيمة) فيسحب من رصيد الشاي كمية كبيرة .

وكان هذا الموقف داعيا لتوحيد جهة التعامل مع المجندين وإعطائهم اي شيء وقد استغرب المجندون عندما وجدوا نظاما جديدا وكلما طلبوا من زنزانة شيئاً أحالوهم الى الزنزنة المحددة للتعامل مع "حرس الليل"

٨ـ نقطة تحول في التعامل مع الجنائيين

في البداية كان تعاملنا مع الجنائيين فرديا فلكل منا وجهة نظره وطريقته ولكن حدثت بعض المشكلات وضعت نقطة لنبدأ من أول السطر في هذا الجانب كان معنا مسجون جنائي يسمى "حكشة" كان شهما وخدوما تعاطف معنا أيام الغلق علينا وقبل الفتح فخدمنا كثيرا ثم دارت الأيام كعادتها في السجون وغضبت الادارة على حكشة فجردته من كل شيء بعد ضربه وإصابته بكسور وجروح فجاء الدور على الذين خدمهم حكشة لرد الجميل فنشأ ت علاقة حميمة امتن فيها حكشة واعتبر ما قام به الاخوة جميلا في رقبته وتدريجيا فتحت عليه الادارة بعد ان انتهت فترة عقوبته فعاش بيننا واحدا منا له كل الحقوق ومن هنا بدأت مشكلة حكشة في تفسيره لما يلقاه من معاملة تفسيرا مبنيا على ثقافته كمسجون جنائي عاش في هذا الوسط بتقاليده وأعرافه ثم كذلك ضج وشكا حكشة من اختلاف وتناقض يجده في النصائح الملقاة اليه وطريقة دعوة بعض الاخوة له واختلاف هذه الطريقة فهذا يحذره من شيء وآخر يبيحه له وهذا يبدأ معه بداية فيأتي غيره ليبدأ غيرها وهكذا
من هنا ظهر لنا جميعا ضرورة اقتصار التعامل مع المسجونين الجنائيين على اخوة معينين يجيدون التعامل معهم ودعوتهم بحيث نحافظ على الود معهم

حياتنا الرياضية

في البداية كانت ممارسة الرياضة فردية كان البعض يضيق بها لضيق المكان وعندما صنع بعض الاخوة كرة شراب ولعبوا بها أثار هذا الأمر جدلا كبيرا

فيما بعد عندما تم وضع نظام وبرنامج لليوم بدأ اليوم بطابور رياضي يحضره الجميع ثم مباريات منظمة ومسابقات وألعاب قوى وقد رحب بهذا النظام الرياضي الجميع لما كان له من اثر نفسي عظيم
كما ان وجود النظام الرياضي الجماعي أدى الى ظهور المواهب الرياضية والتنافس بينها بعد ان كان مجال المواهب والتنافس هو المجال العلمي وحده

وضع الدكتور عمر عبد الرحمن

انتهت المحاكمة العسكرية في قضية اغتيال السادات ببراءة الدكتور عمر عبد الرحمن لكن تم ترحيله مع باقي المحكوم عليهم الى ليمان طرة انتظارا للمحاكمة في القضية الثانية المسماة قضية الجهاد ٤٦٢حصر أمن دولة عليا طواريء وأودع معهم بعنبر التجربة عنبر ٤ وهو عنبر مشدد للغاية

كان للدكتور دورا كبيرا في رفع معنويات المجموعة وبدأ تدريس بعض العلوم الشرعية وسكن معه في زنزانته طبيب الأسنان طارق ابراهيم والصيدلي صفوت الأشوح كانا يتبادلان القراءة عليه

بعد وصول المتهمين في القضية الثانية بشهر واحد تقريبا تدهورت صحة الدكتور عمر حيث كان مريضا بالسكر والضغط فتم حجزه بمستشفى السجن وهو مستشفى مركزي لكل سجون الجمهورية وكان معه الشيخ طارق بدير الذي كان مريضا بالقلب وأجريت له عملية قلب مفتوح

عندما تحسنت أوضاع السجن ومعاملته استطاع الدكتور أن يحسن أوضاعه بعد أن أصبح بعيدا عن صخب العنابر وحركتها ومشكلاتها اليومية فانشغل الشيخ بدراسته وأبحاثه ورسائله الجامعية كما استمر في ارسال توجيهاته وكان ينزل الى العنابر كزيارات يسمح له السجن بها أحيانا في الأعياد فيحتفى به ونزل مرة في العيد فاستقبلوه بهتاف : نحن الذين بايعوا عمرا ... على الجهاد ما حيينا الدهرا

لكنه رحمه الله غضب ونهاهم وأمر بعدم الهتاف باسم أحد

وكان يتدخل لدى الادارة اذا احتدمت مشكلة بينها وبين المعتقلين في العنابر

كانت هذه المرحلة دورات متعددة

ـ دورة في العلوم الشرعية فقد عشنا بين علماء أفاضل على رأسهم فضيلة الدكتور عمر عبد الرحمن أستاذ ورئيس قسم التفسير بجامعة الأزهر فرع أسيوط

كما عشنا بين كم من الكتب والمراجع تجمعت فيه امكانيات كل منا فأصبح مجموع هذه الكتب بين يدي كل منا

ـ دورة قانونية درسنا فيها قانون الاجراءات ثم عشنا وقائع أكبر محاكمة قاضيها شيخ قضاة مصر ومحاموها هم أكبر محامي مصر من أصحاب المهنة وأصحاب الفكر بكل اتجاهاته في مصر من الفكر الاسلامي حتى الفكر الشيوعي

ـ دورة في التعبد لله والصلاة والصيام

دورة مع القرآن حفظا ومراجعة وتلاوة وتدبراًواطلاعا في تفسيره فللقرآن مع الشدائد مذاق خاص فهو في الشدائد أنيس وجليس ومؤنس ومحدث ومعلم وواعظ وحياة تمد الانسان بحياته حين تجدب الحياة المادية ولايمكن وصف ذلك بأي عبارة .

ـ دورة في المهن فقد تم حصر أصحاب المهن الموجودة حتى يعطي كل منهم دورة نظرية في مهنته لمن يرغب وبذلك فقد أخذنا على الأقل فكرة عن بعض المهن مثل النقاشة والحلاقة والتجارة.

ـ دورة تربوية ساعد فيها القدرفهيأ لها الظروف وفتح فيها الله من عنده فتوحاخاصة لم نجدها بعد الفرج وقد خرجنا من هذه المرحلة بكثير من الدروس التي حفرت في قلوبنا بعمق ومنها:

١ـ دوام الحال من المحال فقد كان السجن نموذجا مصغرا لحال الدنيا فقد تعودنا ان لايدوم اليسر والفتح علينا كما لايدوم العسر وإغلاق الزنازين

كانت الادارة لاتطيق ان ترانا في حال ميسر وترانا سعداء لفترة طويلة فما ان نصل الى ما نتمناه وتستقر أحوالنا ونحن حاصلون على حقوقنا كمعتقلين ألا وتستغل أي حدث لتهدم كل شيء وتعيد أحوالنا المعيشية الى نقطة الصفر ويذهب من بين أيدينا كل متاع الدنيا حاكيا سنة الحياة (حتى أذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس)

٢ـ ومن أجمل الدروس سعة رحمة الله تعالى ومن العجيب أن أكثر الناس شعورا بقرب رحمة الله وسعتها هم أهل البلاء والكرب اذ تحفهم من الله رحمة خاصة يحسون بها فمثلا سرعة استجابة الدعاء وإنجائه من المهالك، وقرب العبد من ربه، وكثرة مناجاته له، واحساسه بقرب الله منه، ولطفه به، واحساس الانسان بأقل نعمة ينعمها الله عليه، وفتوحات الله التي يفتحها عليه في تأمل القرآن، والخشوع في العبادة، وصدق التوجه الى الله والتعلق به وفراغ القلب من غيره كل ذلك من آثار رحمة الله الخاصة بعبده تخفف عليه وطأة البلاء

٣ـ ومن أعظم ما عشناه من المعاني التربوية الحب في الله والأخوة في الله فالسجن تجربة الأصدقاء كما قال يوسف عليه السلام وعندما نعيش في ظلال القرآن والسيرة

النبوية وقصص الصحابة والدروس والمواعظ وعندما نرى القدوة من القيادات في الحب والأخوة والإيثار تصبح الحياة نوعا من المتعة التي تخفف البلاء حقا

٤ـ ومن أعظم الدروس أ، العمل الاسلامي ليس مجرد هواية وانما رسالة العمر التي يفني فيها المسلم نفسه ويصوغ من أجلها حياته وليس العكس

وقد تضافرت على ترسيخ هذا الدرس أمور كثيرة منها دراسة فقه الجهاد مع السيرة النبوية والتاريخ الاسلامي وفتوحاته مع سيرة بعض الصحابة والأئمة والتجارب الناجحة في التغيير مع كتب الرقائق كإحياء علوم الدين ومدارج السالكين وقد كان بعض شيوخنا يردد حديثا حتى حفظناه (طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله كلما سمع هيعة طار اليها ان كان في الساقة كان في الساقة او كان في الحراسة كان في الحراسة .....) كل ذلك كان مع رجال حياتهم لله فعلا وواقعا

اللجنة السياسية

بعد حضور الشيخ رفاعي طه الى عنبر التجربة عمل على تكوين "اللجنة السياسية" وكان الشيخ اسامة حافظ هو مسؤل العنبر ومعه الشيخ حمدي عبد الرحمن اهتموا جميعا بهذا الابتكار ايامها

وقد سبق اليها لدكتور أيمن الظواهري والشيخ ابو بكر عثمان رحمه الله والشيخ محمد يحي والشيخ سمير خميس وآخرون ثم بدأوا يضمون اليهم غيرهم تباعا ونحن نرى حوارات مطولة تدور مع واحد واحد ممن يرغبون في ضمهم تنتهي غالبا بالانضمام على مضض ثم الاندماج

وكانت فكرة جديدة فرغم أن هؤلاء غالبا مايعدون ندوات سياسية ونشرات الأخبار اليومية التي كانت تقدم بعد صلاة العصر الا أننا الى هذا الوقت لم تكن هناك اي لجنة قد تم تكوينها فكأنت هي اول لجنة ثم إن الاهتمام بالسياسة الى هذه الدرجة لم يكن لدى بعضنا معتبرا إذ كان الاهتمام مُنصبا على العلوم الشرعية اما الموقف من السياسة فكان محل تفاوت في قبول الفكرة ابتداءً ولذلك فقد أثار تكوين اللجنة حواراً وربما جدلا وسط القاعدة خصوصا وقد كان الدكتور عمر يركز على الاهتمام بالعلوم الشرعية.

كانت اللجنة تجتمع في زنزانة وتناقش وسط فضول من كثير من الاخوة حتى من الرافضين للفكرة .

كانت مهمة هذه اللجنة هي الاجتماع الاسبوعي لتناول الأحداث بالتحليل ثم عقد ندوات سياسية في المتوفر من الملفات ومصادرها وإعداد النشرة الاخبارية

وهذه اللجنة كانت على مستوى عنبر ٤ المسمى بالتجربة بليمان طرة بمختلف انتماءاته وليست هي اللجنة السياسية للجماعة الاسلامية

ولكن فيما بعد اقترحت اللجنة عمل اذاعة داخلية ليلية وبالفعل قامت بها فكان الاذاعة الداخلية هي بنت اللجنة السياسية

الاذاعة الليلية

بدأت اللجنة السياسية بعنبر التجربة بالتحضير لفكرة الاذاعة الليلية وسط تهكم من البعض واستبعاد قيامها من آخرين وقليل من التفاؤل

لقد كنا كاسلاميين الى هذا العهد ننظر الى الاعلام وكل ما يمت له بصلة على أنه امر بعيد المنال بالنسبة لنا جدا فهذه وسائل لايقدر عليها الا غيرنا كالشيوعيين مثلا.

كانت الفكرة أن بكل باب زنزانة فتحة مربعة تسمح بانتقال الصوت وبالتالي يمكن للمذيع أن يذيع منها فيصل صوته ونحن لانراه فتشبه الاذاعة ولكن المشكلة كيف سيتوافق المذيعون ومقدمو البرامج في الابتداء والانتهاء وهم لايرون بعضهم ؟ إلا أنهم وضعوا لهذا حلا

اول يوم بدأت فيه الاذاعة كنا لانصدق فقد كان الملل قد أنهكنا من رتابة برنامجنا اليومي والدروس الأكاديمية التي لاتتطرق الى الابداع والابتكار والخواطر والمقالات والقطوف

ومن أجمل برامج هذه الاذاعة

فلنتذكر دائما قدمه الشيخ محمد مختار لأنه متنوع المواهب فيختار معنى قد يكون قلبيا أو اداريا او فكريا وكانت مقدمة هذه الفقرة جزء من نشيد:

يا أمة الاسلام قومي فلنعد مجد لجدود

يا أمة الهادي وهبي تنكسر كل لقيود

يا أمتي قد لاح فجرك ؛ لاح فجرك من جديد

ومن البرامج "من المؤمنين رجال " وهو مقتبس من كتاب "رجال حول الرسول" لخالد محمد خالد

برنامج ليخدعوك قالوا وهو شبهات والرد عليها

ـ فقرة تاريخية عن مجد الخلافة

أول من بدأ هذه الاذاعة بروح متحمسة للغاية هو الشيخ علي الشريف الصغير فقد كان تلميذا للشيخ رفاعي طه أخذ عنه الحماس للفكرة

والشيخ علي هو الذي تولى دور مذيع الربط فقد كشفت هذه الاذاعة عن صوته الاذاعي الجميل

ومن اجمل البرامج فقرة الافتتاح اليومية

أما الختام الذي كتبه الشيخ اسامة حافظ فقد كان اقوى فهو يقول :

عهدٌ:

أن نسير على الطريق لانحيد ولانميل

عهدٌ:

أن نحمل الامانة منتصرين أو بين جدران السجون

عهدٌ:

أن نعود للدنيا نُطبُّ الجرح او نلقى المنون

والى لقاء

ومن آثار الاذاعة الطيبة اننا كنا ما إن يفتح الباب في الصباح حتى نتناول البرامج بالتعليق والاعجاب او النقد فحركت الاذاعة المياه الراكدة

ومن الجميل ان فكرة الاذاعة تطورت وتحولت داخل الزنازين الى ما سمي بالروضة لأنها تؤدى بطريقة مختلفة في الأداء

عودة التمايز بين جماعة الجهاد والجماعة الاسلامية

عندما بدأ التفكير فيما بعد الخروج برزت قضيتان مهمتان:

قضية طبيعة العمل الاسلامي لأي جماعة اسلامية حيث قالت الجماعة الاسلامية أنها ستعود من جديد الى الدعوة والمساجد من حيث انتهت بينما قالت جماعة الجهاد ان الصحيح أن نعود الى الجهاد في سبيل الله

من حيث انتهينا ومن هنا نوقشت قضية طبيعة العمل الاسلامي هل هو شامل كما ترى الجماعة الاسلامية ام خاص بالجهاد كما ترى جماعة الجهاد؟

القول بأنه يجب أن يكون شاملا يؤدي الى القول بأن الأمير هنا يجب ان يكون من العلماء ويستشير العسكريين .

بينما قالت جماعة الجهاد أن الجهاد يلزم له أمير عسكري مثل الشيخ عبود ويستشير العلماء ولايبرم أمرا الا بمشورتهم ومن هنا عادت كل جماعة الى ماكانت عليه قبل تحالفهما قبل الأحداث.

أما القضية الثانية فهي قضية إمارة الضرير فقد أعد المقدم عصام القمري بحثا يثبت فيه عدم جواز إمارة الضرير قياسا على القضاء

فردت عليه الجماعة الاسلامية بأن هذا الشرط في الامامة العظمى وأن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر أو ولىَّ عبد الله ابن أم مكتوم على المدينة ورد القمري بأن هذه الولاية كانت محدودة بايام مؤقتة لكن الجماعة قالت ان هذا قول صاحب البحث وحده وليس له في ذلك أي سلف أو قول أحد من العلماء .

ويبدو أن الأمور أخذت هذا المنحى بسرعة نتيجة وجود تراكمات في نفوس بعض القيادات منها:

ـ تهكم بعض العسكريين من الأحداث باعتبارهم قيادة مدنيين لاخبرة عسكرية ولاحركية لديهم بل يغلبون المعاني التربوية على القواعد العسكرية وكانوا يقولون ما لفلان وللعمليات العسكرية ؟

ـ ومنها رغبة ومحاولة جماعة الجهاد ضم الشيخ رفاعي سرور الى مجلس الشورى بينما كان ذلك مرفوضا بشدة من "الجماعة الاسلامية" لأن الشيخ رفاعي سرور كان لايعذر بالجهل وهم يعتبرون هذه المسألة من مسائل العقيدة التي لايقبلون العمل مع من يعتقدها

بعد أن دبَّ هذا الخلاف بين القيادات مالبث أن ظهر الى حياتنا فإن كان في كل مجتمع من يتفهم أي أخبار حول وجود خلاف ما بين القيادات فكذلك هناك من يتلقف هذه الأخبار لينسج منها قصصاً وروايات

وامتدادات مختلفة فبدأ التناجي والجلسات الضيقة بين أبناء كل جماعة فتغيرت النفوس كما أن هناك من يتأثر نفسياً بشدة ولايتحمل هذه الأجواء الجديدة التي حلت محل أجواء الوحدة والتكتل في مواجهة البلاء.

ثم ظهر الانقسام البغيض فانسحب اخوة الجهاد من الحلقات العلمية والطابور الرياضي.

وبدت وصية أحد المحامين المخضرمين : "السجن فرصة للخلوة اذا استطعتم تجنب الخلاف " أنها عن تجربة عملية

مشروع المجلات

من أكبر المشكلات التي تواجه الانسان في الحبس الرتابة التي تؤدي الى الملل الشديد وبالتالي التكاسل عن الأداء اليومي

وتأتي الرتابة على موجات أو نوبات تالية لنوبات النشاط فكلما استحدث أمر جديد نشطت النفوس ثم بعد فترة يفقد هذا الجديد جديته ويدخل في كتلة الأعمال الرتيبة فيبدأ الملل يزحف الى النفوس من جديد.

في احدى هذه الموجات عرض الدكتور ناجح ابراهيم فكرة عمل مجلات اسلامية وبالفعل قسم المجلات الى مستويات من حيث الجمهور الذي تخاطبه فمجلة لمستوى المثقفين واخرى للطلاب والطبقة الوسطى وثالثة لعوام الناس وجعل لكل قسم مجموعة تقوم بعمل مجلة تخاطب قسما من الثلاثة.

وجعل جائزة للمجلة الفائزة وحدد موعدا نهائيا لتقديم المشروع للجنة التقييم

في البداية كانت الفكرة صعبة نظراً لعدم وجود امكانيات ومصادر ولكن ما جعل الفكرة ممكنة المبدأ العام الذي كان سائدا ويتبارى فيه الجميع هو قبول التحدي وأن المسلم لايعرف المستحيل.

ومنذ أول لحظة استحوذ هذا المشروع على اهتمام ومجهود الجميع وبدأت المنافسة في توفير الامكانيات المادية والخبرات والأفكار الخلاقة

وبعد قليل ظهرت المواهب التي لم يكن لها مجال للظهور مثل كتابة المقالات والقصة والخط والفن والرسم والتصميم وغير ذلك.

واضطرت اللجنة الى تأجيل الموعد أكثر من مرة الى اضعاف المدة نظرا لأن المنافسة رفعت من مستوى الأعمال سواء في المحتوى او في الاخراج الفني

واشتعل التنافس قبيل النهاية وأدى الى روح جميلة في المكان من النشاط والحيوية والانشغال الذي يمثل حلا لكثير من مشكلات الركود والحبس

وقد اسفرهذا المشروع الجميل عن عمل مجلتين "النصيحة" لمستوى عموم الجمهور و"صيحة حق " لطلبة الجامعة ومن في مستواهم أما المجلة الثالثة فلم يتم منها غير اختيار الاسم وهو"الحجة" لمستوى المثقفين وقد كان سبب توقف العمل في المجلة درسا ظل محفورا لدينا سيما وقد كان يلقن نظريا وهو أن من ينتظر توفر الامكانيات لن يفعل شيئا وهذا ماحدث حيث طلبوا من الأهالي احضار أنواع من الورق المصقول وغير ذلك ولم يبدأوا العمل فتأخرت الى أن فات الوقت.

كان هذا المشروع رافعا جدا للمعنويات خصوصا بعد تسليم الجوائز لكل من ساهم في هذه المجلات مع إعجاب القيادة وثنائها وشكرها لهم .

هذا المشروع اكد نظرية هامة وهي ان المربي عندما يدخل من يربيه في مشروع يتطلب منه حشد كل طاقاته ويضطره الى استنفار جهوده وافكاره كلها يتقدم وتحدث الطفرات التربوية.

الابتكارات

يقولون إن الحاجة ام الاختراع

وفي السجن حاجة بل ضرورات شديدة تجبر السجين على ايجاد بدائل تمكنه من الحياة وتحل له بعض المشاكل العويصة التي تعوق مجرى الحياة.

وبالفعل اضطرتنا الحاجة الى استخدام مالدينا من امكانيات بعد تحويرها للوصول الى المفقود ومن أمثلة ذلك :

الكمبيووتر- البرطمان الكهربائي - الدولاب - المنبر - الكرسي - البلنشيتة - المكتب - الورق الملون.

١- أما الكومبيوتر فهو قطبان من المعدن قد يكونان مسمارين مثلا يفصل بينهما بمادة عازلة كقطعة بلاستيك ويوصل كل منهما بفردة سلك تنتهي بجزء منه مكشوف يوصل بمصدر الكهرباء وهو عادة سلك مكشوف أيضا لأن عالم السجون لايعرف "الفيشة " عندما يوضع القطبان في الماء يبدأ تسخينه . وبعد الوصول الى هذا الاختراع فكروا في وضع اسم له يتداول به فسموه كمبيوتر ومازال هذا الاسم يطلق عليه في عالم السجون حتى الآن ومن الطريف ان الوارد حديثا على السجن يصاب بالذهول عندما يسمع الاسم اذ كيف يكون في هذا المكان كمبيوتر؟ او كيف سيدخل من هذه الفتحة الضيقة في جدار الزنزانة؟ ثم يفاجأ انه لفافة سلك في آخرها مسمارين .

٢- البرطمان الكهربي تطوير للكمبيوتر فهو برطمان يثقب فيه ثقبان يدخل منهما قطبان من أقطاب حجر الراديو مثلا ثم يغلق حول الثقوب بالبلاستك الذائب فاذا تم التوصيل بمصدر الكهرباء بدأ التسخين مثل السخان أو الكاتل

٣- الدولاب

عبارة عن كرتونة تم تقوية أركانها بجريد الأقفاص التي يأتي فيها خضار الكانتين ثم يركب لها حبل تعلق منه فيصبح دولابا لأدوات المطبخ او للملابس

٤ـ المكتب مكعب مصنوع من ورق الكراتين يتم دمجه بقوة فوق بعض حتى يرتفع ارتفاعا يمكن الانسان من وضع الكتب عليه والقراءة والكتابة على الوضع جالسا.

٥ـ البلانشيتة هي ما يستعمل للكتابة عليه وهي مصنوعة من ورق الكراتين المدمج لبعضه حتى يصبح كخشبة مستطيلة ٥٠سم عرضا و ٧٠ طولا مثلا توضع على الحجر والانسان جالس ثم تم تطويرها بقص نصف دائرة في مننتصف طولها فيدخل جزء منهامحيطا ببطن الكاتب وهو جالس فتصبح أكثر راحة ومن الطريف ان بعض الاخوة أخذوا معهم هذه البلنشيتة عند خروجهم للحياة من شدة صحبتهم لها.

٦ـ المنبر مجموعة بطاطين فوق بعضها بارتفاع مناسب

٧ـ سخان المطبخ هو السخان المعروف الذي يتكون من سلك لولبي يوضع على قالب فخار لكن السجون غالبا تعتبره من الممنوعات فيكون البديل هو قالب الحجر الحراري يباع في السجن بثمن باهظ.

٨ـ الكرسي مكعب مصنوع من القوالب الورق التي ينقل فيها البيض فاما ان يتم تليينها بالماء ثم دمجها بقوة تحت ضغط شديد من أي ثقل موجود كجردل مملوء بالماء أووضعها فوق بعض وهي جافة وضغطها الى ان تتحمل جلوس احد عليها.

٩ـ الورق الملون عندما اردنا عمل مجلة فكرنا في تلوين الورق فاشترينا من الزيارة علب الأقلام الملونة ثم اخذنا نكتب خطوطا كثيفة على الورقة ثم نمسحها بقطعة قماش او قطن حتى تختفي الخطوط ويفرش اللون في الورقة

الاستعداد للمحاكمة

بعد شهور من وصولنا لليمان طرة أعلن أن موعد بدأ المحاكمة هو شهر ديسمبر واستلم كل منا نسخة من قرار الاتهام وبدأ الاستعداد للمحاكمة وقد افاد في الاستعداد سابق خبرة المحكوم عليهم في القضية السابقة قضية اغتيال السادات
تضمن الاستعداد ١ـ اختيارالمحامين ٢ـ تحضير ما سيعرض على المحكمة من الابحاث الشرعية والموضوعات والمرافعات ٣ـ شهود النفي في الشق العام الشرعي والسياسي وكذلك في الشق الخاص بكل متهم ٤ـ ترتيب ماسيتم في قاعة المحكمة من : تعامل مع الاعلام ـ تعامل مع حرس المحكمة ـ ترتيب كيفية قضاء الوقت هناك خصوصا والمدة قد تطول الى النهار كله

المحامون بدأ المحامون يأتون للزيارة في السجن لمقابلة بعض الاخوة وجاء وفد من كبار المحامين المشهورين وخرج لمقابلتهم اخوة كبار وبدأ توزيع الاخوة على المحامين
طلب بعض المحامين منع المحامين ذوي الاتجاهات غير الاسلامية من الحضور لكن رفض الاخوة هذا الطلب حيث انهم سيأتون متطوعين ولايقبل ردهم وقد يكون في حضورهم خدمة للقضية وتوسيع لجوانب الدفاع المختلفة وزواياه
اعداد الابحاث الشرعية بدأ الاعداد بعمل مكثف لبعض الابحاث التي تعتبر سندا شرعيا للاحداث وهذا يعني انه قد تقرر الاقرار بحدوثها والمسؤلية عنها وعدم الاتجاه الى نفيها ولا الى ترك كل متهم ليقرر ما يشاء
شهود النفي أعد القيادة قائمة باسماء العلماء من مختلف دول العالم الاسلامي للادلاء بشهادتهم الفقهية في الاحداث ومنهم : الشيخ صلاح ابو اسماعيل ـ
اهتمت القيادة بالاستعداد للمحاكمة ووجهت عدة توجيهات تفصيلية خاصة بها بحيث اصبح الجميع متصورا ما سيحدث وما يجب عليه حتى انه تم الاعتناء بالمظهر العام للجميع واتفق على ان تكون الملابس موحدة هي الجلباب البيض الا الأزهريين والانتباه للقطات الاعلام المغرضة وحصر التحدث للاعلام في القفص الأول فقط فهو قفص القيادة

نشرت الصحف صورة لقاعة المحكمة بعد تعديل احدى صالات المعرض الدولي بأرض المعارض بالقاهرة لتسع عدد المتهمين الـ ٣٠٢

فكرة نقل المتهمين الى حبس بالمحكمة

قبل موعد المحاكمة تم ترحيل عدد من القيادات الى زنازين في قاعة المحكمة لتسكينهم مؤقتا فيها أعدت خصيصا لهم لتجنب نقلهم يوميا الى المحكمة خوفا من محاولات تهريبهم اثناء الانتقال لكن هذه التجربة فشلت واضطرت الداخلية لإعادتهم.

ليلة المحكمة نبهوا علينا أن نستعد من الساعة الثانية صباحا وبالفعل جاءت القوات وملأت العنابر والسجن في هذه الساعة واستمرت الاجراءات حتى صلينا الفجر قبل التحرك.

كانت التوجيهات ان يرفض الجميع القيود الحديدية (الكلبش) وان يتولى الشيخ عبود التفاهم معهم حول عدم التقييد فاذا لم يتم الاتفاق وتقيد هو تبعه الجميع بقبول القيود.

كانت القوات المصاحبة لسيارات الترحيل ضخمة متنوعة من كل انواع القوات وكانت متوترة غاية التوتر وعندما وصلنا أرض المعارض وجدناها قد زرعت بسيارات ومدرعات وجنود على الأرض وفي السيارات كأنه استعداد لمعركة حربية .

في القاعة وجدنا الاعلام والصحافة مستعدا وقد نصب التليفزيون أجهزته الضخمة.

تم توزيعنا على الأقفاص الحديدية وبدأ برنامج كان مُعدا بقراءة القرآن وأناشيد هزت القاعة ورسائل موجهة باللغات الأجنبية للعالم وكلمات ومواعظ لتثبيت الاخوة وما عدا ذلك الانشغال بذكر الله وكان الدكتور عمر يامر احيانا بقراءة القرآن من الجميع بصوت خافت كان يملء القاعة بصوت كدوي النحل وكم كان هذا رائعا .مثبتا للقلوب محدثا جوا جميلا من السكينة والخشوع.

من الأناشيد التتي كانت تشد الجميع

قم يا أخي

قم يا أخي لسنا نخوض الحرب بالخطب الفصاح

هذا سلاحٌ باردٌ لاترتوي منه البطاح

قم ياأخي في لله قم وحد صفوفك للكفاح

قم يا أخي لاتخش الا الله لاتخشى النباح

ونشيد

في حماك ربنا ...في سبيل ديننا
لايروعنا الفنا... فتولَّ نصرنا
واهدنا الى السَنن

ونشيد
بلادي بلادي اسلمي وانعمي... سأرويك حين الظما من دمي
ورب العقيدة لن تهزمي...ومن أكمل الدين للمسلم

....

بلادي اذا ما دهتك الخطوب...فإنا بأرواحنا والقلوب
سنحمي ثراك ونفدي الدروب...ونقضي على الخائن المجرم

...

سنحمي الجبال
وتلك التلال
ويحيا النضال
به يُكتب النصر للمسلم

ومن الأناشيد ما كتبه الشيخ علي عبد الفتاح رحمه الله:

لبيك ياقدس السليبة كلنا نحمي الحمى
لبيك تفديك الرقاب بالالوف المسلمة
لبيك إن عطش اللوا سكب الشباب له الدما
لبيك حتى الأرض الأذان الى السما

.....

سنحكم الشرع ياقدس ثم نأتي كا لأسود
وشريعة الرحمن تمضي تنكسر كل الحدود
ياقدس أهواك وإني حافظٌ كل العهود
لبيك حتى ترفع الأرض الى السما

.....

وكان عدد المحامين كبيرا" ١٢٠" محام شمل أشهر محامي مصر ومنهم الدكتور عبد الحليم مندور وعبد الله رشوان وممتاز نصار وكل المحامين الناصريين واليساريين

حين صرخ الحاجب محكمة لم يقم أحد منا .، بينما ارتبكت القاعة ووقف كل من كان خارج القفص كعادة المحاكم وصاح الشيخ عبود الزمر في قوة وحزم موجها الكلام الى المنصة : " ليعلم كل من في هذه القاعة أن جلسات هذه المحكمة تدار من داخل القفص الحديدي"
لكن القاضي لم يعبأ بشيء كأنه لم يسمع
الجلسة الأولى كانت للاجراءات نادى الحاجب اسم الدكتور عمر عبد الرحمن مجردا فقال احد الاخوة اثناء اجابته على الاتهام الموجه اليه : أنصح المحكمة أن تنادي فضيلة الشيخ برتبته العلمية ....الخ فصاح القاضي في حزم وصرامة : "المحكمة رفضت النصيحة"
استمرت الجلسة بالمناداة على كل متهم وسؤاله: ما قولك في الاتهامات الموجهة اليك فيجيب بالنفي ثم يشكو من التعذيب الذي تعرض له والمعاملة في السجن واسماء الضباط الذين ينتهكون حقوقه

عند موعد صلاة الظهر فوجيء القاضي بأحد الاخوة يؤذن من داخل القفص مقاطعا اجراءات المحاكمة لكنه تعامل مع الامر بحكمة فقال: "رفعت الجلسة لإقامة الصلاة" وصار هذا هو المعتاد عند كل صلاة حتى لو استمرت الجلسات للعشاء
كانت المحكمة تصرف لنا وجبة جافة خلال اليوم
بعد عودتنا الى السجن فوجئنا بمعاملة جديدة ووضع جديد
فحتى يوم المحكمة لم نكن نحصل على حقوق السجين الطبيعية حتى يمكننا التكيف معها وكانت الحياة مضطربة في كل يوم مشكلة مع سجان او ضابط وقد يترتب عليها تضييق اكثر او سلب شيء من الموجود
أما اليوم عند عودتنا فوجئنا بالضباط يعتبون علينا: هل يصح ان تشكونا للمحكمة ؟ وتغيرت المعاملة تغيرا جذريا فحصلنا على حقوقنا كاملة وبدأ فتح الزنازين من السابعة صباحا حتى غروب الشمس كما في اللوائح ثم وافقت الادارة على صرف البيض بديلا عن اللحم فقد كنا نرفض استلامه ونطالب بالبيض . فصرفوه لنا بأثر رجعي

مرافعة النيابة عندما بدأت النيابة مرافعتها أدار كل المتهمين ظهورهم للجلسة وعندما أساء للدكتور عمر قاطعوه كثيرا ووصف كتاب "كلمة حق" موقف

المتهمين من مرافعة النيابة بقوله (وأثناء مرافعة النيابة هتف المتهمون مقاطعين ممثل النيابة بدعاء ضده.. وهدد المتهمون بالامتناع عن حضور جلسات المحكمة طوال مرافعة النيابة.. ثم رفعت الجلسة..
وفي غرفة المداولة حضر الأستاذ يسري الوزيري المحامي وقدم طلباً بصفته وكيلا عن المتهم الأول يطلب فيه من المحكمة أن توجه النيابة العامة إلى توخي الدقة وعدم تجاوز حدود المرافعة المنتجة، وأن تأمر برفع الألفاظ والعبارات الماسة بموكله.
وقد استدعت المحكمة السيد المحامي العام رجاء العربي والسادة المحامين الموجودين بالجلسة..
وقدم الأستاذ مختار نوح المحامي شكوى من عبود الزمر يطلب أن تتدخل المحكمة لوقف الإهانات والتطاولات المستمرة من النيابة.
وطلبت المحكمة من قائد الحرس إحضار المتهم عمر عبد الرحمن فأحضره ومعه عاصم عبد الماجد.. وفي غرفة المداولة أفهمت المحكمة المتهم عمر عبد الرحمن أنه جالس بغرض المداولة وأن أمامه أعضاء المحكمة والمحامي العام رجاء العربي ومحاميه الأستاذ يسري أبو زيد وهيئة الدفاع الموجودة بجلسة اليوم والمتهم عاصم عبد الماجد ووجهت إليه الحديث الآتي: إن ما أثاره المحامي العام في مرافعته بخصوص فقد بصره تداول بالتحقيقات وأن النيابة العامة تؤدي رسالتها وسيعقبه الدفاع بالرد والتعقيب. وبعد ذلك أعيدت الجلسة للانعقاد بالهيئة السابقة..وأكمل المحامي العام لنيابة أمن الدولة مرافعته)

أهم المرافعات

عندما بدأت مرافعات المحامين بدأوا بالشق العام في القضية فاستغرق الدكتور عبد الله رشوان جلستين أي خوالي ٢٠ساعة عرض فيها تاريخ الحركة الاسلامية وامتعض بعض الاخوة لأنه في الحقيقة عرض تاريخ الاخوان المسلمين لاغير
ثم تكلم محامون آخرون عن الأوضاع السياسية والاقتصادية وعن الفساد في عهد السادات وأسهبوا حتى قالت الصحف : المتهمون حولوا القضية الى محاكمة السادات بدلا من محاكمتهم.

وقد أسهب بعض المحامين في تفاصيل تاريخ السادات منذ طفولته وتطرقوا الى أمور طلب الاخوة حذفها من المضبطة هي وبعض الأفاظ التي أصر أحد المحامين اثباتها لكن الاخوة قالوا ان قضيتنا نظيفة لن نلوثها بهذه الألفاظ
وقدم الدكتور عبد الحليم مندور مرافعة وبحثا عن الحاكمية.
وبينما قال بعض المحامين مثل الدكتور عبد الحليم مندور "اننا مدينون لكم بقراءتنا في جوانب جديدة علينا مثل قضية الحاكمية "
كانت جلسات المحاكمة ومرافعات المحامين بالنسبة لنا دورة قانونية دسمة حتى أن كثيرا من الاخوة بدأوا يطلبون اوراق قضيتهم ويجهزون مذكرات للدفاع عن أنفسهم يساعدون بها المحامين أو يسلمونها مباشرة للمحكمة خصوصا بعد اهمال بعض المحامين الذين جاءوا للشهرة فقط
كان من اللافت للنظر اهتمام الأستاذ نبيل الهلالي المحامي اهتماما بالغا وهو شيوعي لكنه كان بارعاً مخضرما شهد له الجميع بجهده الكبير في الشق الجنائي ولم يقبل أتعابا على عكس محامين آخرين تقاضوا أتعابا باهظة من الأهالي مقابل دقائق في الجلسة تبين بعدها انهم لم يقرأوا القضية!
في إحدى الجلسات أنكر أحد المحامين حدوث واقعة أحداث اسيوط أصلا وطلب فوارغ المقذوفات كدليل على وقوعها فهب الشيخ عاصم عبد الماجد ورفض هذا المنطق وقال: (نحن قمنا بهذه الأحداث وقد اصبحت ملكا للتاريخ والأجيال القادمة ولايسعنا انكارها بل نحن نفخر بها فهذه ترجمة لفكر نؤمن به)أو نحوا من هذا
قدمت الجماعة الاسلامية ابحاثا كأسانيد على صحة خروجها على الحاكم منها ـ بحث "أصناف الحكام" وهو بحث يقسم الحكام من حيث موقفهم من الشريعة الى
١ـ حاكم مسلم عادل ثم يبين حكمه وهو طاعته وحرمة الخروج عليه
٢ـ ـ حاكم مسلم ظالم أو فاسق أو مبتدع ثم يبين حكمه واختلاف العلماء في جواز الخروج عليه
٣ـ حاكم كافر أصلا فلا تنعقد له الولاية ولايجوز توليته على المسلمين
٤ـ حاكم مستبدل ينحي شريعة الاسلام جانبا ويحكم بشريعة اخرى فلايحكم بما أنزل الله ثم يبين اختلاف العلماء في حكمه ويخلص الى الرأي الذي يتبناه البحث وهو كفر الحاكم الذ ينحي شريعة الله جانبا ويحكم بدستور وقوانين تخالفها

البحث الثاني ـ بحث "قتال الطائفة المتنعة عن شريعة من شرائع الاسلام" استنادا الى قتال ابي بكر الصديق رضي الله عنه لمانعي الزكاة . وجدير بالاشارة ان الشيخ عصام دربالة معد هذا البحث قال فيا بعد سنة ٢٠٠١ أنه خلا من فصل مهم وهو "موانع القتال" وأن وجود أسباب القتال وحدها لايكفي لقيامه بل لابد من النظر في الشروط والموانع ثم قياس المصالح والمفاسد

الثالث ـ بحث الرد على التكفير لاثبات عقيدة الجماعة وانها لاتكفر المجتمع

الرابع ـ بحث الموالاة وهو بحث يعرف الموالاة بالحب والنصرة معا ويقسم الموالاة الى قلبية وهي الحب وظاهرة وهي اعمال الجوارح ثم اختلاف الحكم فالموالاة الظاهرة وحدها محرمة تحريما مشددا ولكنها لاتصل الى الكفر الأكبر المخرج من الملة أما الباطنة او القلبية فهي التي يكفر صاحبها سواء اقترنت باعمال الموالاة الظاهرة ام لا .

سارت الجلسات هكذا جماعية حتى مللنا وأجهدنا فقد كنا نستعد للذهاب الى المحكمة من قبل الفجر ونعود للسجن بالليل وبدأ بعض الاخوة يتخلفون عن الحضور لكن المحكمة لاحظت كثرة عدد الغائبين فامرت بلزوم الحضور ولو بالقوة

ثم قسمتنا الى مجموعات كل مجموعة تحضر الى ان تنتهي مرافعاتها

كنا نهتف طوال الطريق وعند دخول القفص وقبل دخول القاضي يقدم برنامج من كلمات موجهة من المشايخ للاخوة وللشرطة وللاعلام كما يشمل البرنامج تعليقات على الأحداث الجارية وأحيانا تطلب الكلمة من المحكمة لاثبات الرأي حول هذه الأحداث خصوصا أحداث فلسطين .

قدم الدكتور ناجح سلسلة وجوب تطبيق الشريعة الاسلامية

مرافعة فضيلة الشيخ صلاح ابو اسماعيل

وصف فضيلة الشيخ اسامة حافظ هذه المرافعة فيما كتبه على صفحته على الفيس بقوله: كلمة حق في زمن عز فيه الحق ـ

ـ قدمنا لرئيس المحكمة المستشار عبد الغفار محمد قائمة سجلنا فيها أسماء بضعة عشر عالما من شتي أنحاء العالم الإسلامي ندعوهم للحضور شهودا في القضية لمناقشة ما كانت تحمله القضية والأحداث والمحاكمة من فكر

ومدي مشروعيته .. كانت القائمة تحمل أسماءاً من ذوي الوزن الثقيل ممن اشتهروا بالعلم وطبقت شهرتهم الآفاق
وترقبنا فرار المحكمة وكلنا قلق أن ترفض كما رفضت المحكمة العسكرية قبلها بشهور مكتفية بالخلفية الجنائية للحدث متجاهلة أن القضية في ذلك الوقت كانت اكبر وأشهر قضية سياسية ودينية شهدتها المحاكم المصرية طوال تاريخها.
ولكن المحكمة والحق يقال كانت حريصة علي استقصاء كل جوانب القضية وخاصة الشق الديني الذي بني عليه الحدث .. ورغم كثرة الأسماء المعروضة وشهرتهم العريضة إلا أن المحكمة راعت في اختيارها كلا الشقين الديني والسياسي ..وبالفعل وافقت المحكمة علي استدعاء الشيخ الجليل صلاح أبو إسماعيل ليدلي بشهادته في الشق الفكري في القضية وما كان أعظمه من اختيار
كنا نعرف الشيخ جيدا من خلال سباحتنا في بحر الدعوة كعلم من أعلامها وإمام من الأئمة المقتدي بهم .. فقد اشتهر جهاده في مجلس الشعب في سبيل تطبيق الشريعة صادعا بكلمة الحق .. وقد عرفناه علي المنابر وفي قاعات المحاضرات وفي المؤتمرات يدافع عن الدين ويذود عن حياضه وقد حمل لواء الدعوة وابتلي في سبيلها ولم يتراجع .. وقد التقينا به كثيرا ودعوناه في معسكراتنا ومؤتمراتنا وفي مساجدنا وكنا نري فيه إماما من أئمة الهدي وبقية من حملة هدي سلفنا الصالح تتلمذنا علي علمه ومواقفه وجهاده ولذلك فقد فرحنا باختيار المحكمة كثيرا وأملنا أن تكون المحاكمة وما كانت تلقاه من زخم إعلامي فرصة لطرح القضية الإسلامية وقضية تطبيق الشريعة علي قمة هذا الزخم من خلال هذه الشهادة
ولم يخيب الشيخ أملنا فيه وقبل دون تردد رغم ما يحوط هذا القبول من محاذير وحمل مسئولية هذه الشهادة أمام الله أولا ثم أمام الناس
وفي يوم من أيام الله شهدت قاعة محكمة امن الدولة بالعباسية الشيخ وهو يتقدم بتؤدة ووقار نحو موقفه أمام القاضي بينما تصاعد هتافنا يزلزل القاعة " الله اكبر الله اكبر .. فليرتفع صوت الأزهر – الله اكبر الله اكبر فليرتفع شأن الأزهر"
استقبل المستشار الجليل الشيخ بحفاوة تليق بجلاليهما واستحضر له مقعدا ليجلس عليه وبدأت كلماته تتوالي والكل صامت كأن علي رؤوسهم الطير فما

ترك كلمة حق له فيها مقال إلا قالها لا يهاب فيها أحدا ولا ترك خللا إلا سعي في تقويمه ولا ترك موقفا لله فيه مقال وتردد لحظة .. كنا نشعر أنه لا ينظر في مقاله إلي احد ولا يشعر بأحد حوله إلا نظر الله إليه واطلاعه علي عمله.
مرت الجلستان التي أمتعنا فيهما كأنها لحظات وشعرنا جميعا أن كلماته غزت قلوب الجميع وحركت المشاعر وكثيرا ما أشفقنا عليه من بعض ما قال ولكنه لم يكن يشغله من ذلك شئ
ولأن ما كان لله بورك فيه ووضع له القبول بين الناس فإن شهادته هذه ما أن نشرت في احدي الصحف حتى أحدثت دويا وحراكا في المجتمع الإسلامي وبادر عدد من العلماء الأجلاء يضيفون إلي ما أثار الشيخ من قضايا فيضا من علومهم ومزيدا من الدعم وبرز في هذا المعترك الأستاذ الدكتور موسي شاهين لاشين أستاذ ورئيس قسم الحديث في كلية أصول الدين جامعة الأزهر رحمة الله عليه والأستاذ الدكتور عبد الستار فتح الله أستاذ ورئيس قسم التفسير والأستاذ الدكتور عمارة نجيب أستاذ التيارات الفكرية بكلية أصول الدين وغيرهم .. وتصدوا بالرد علي اللجنة التي استكتبتها النيابة ردا علي الشيخ .. وما إن نشرت شهادته في كتاب بعنوان الشهادة حتى تخاطفته الأيدي فنفد في بضعة أيام.
للشيخ مآثر كثيرة وأعمال جليلة نعرف بعضها ونجهل أكثرها ولكن هذه المأثرة لازالت حية في ذاكرتي وقلبي أستعيدها فأترحم علي الشيخ وأدعو له أن يتقبلها الله منا ويرفع درجته في الجنة.

مرافعة الدكتور عمر عبد الرحمن

وقدم الدكتور عمر عبد الرحمن مرافعة تاريخية عن الحاكمية ووجوب تطبيق الشريعة وحكم الحاكم الذي لايحكم بما أنزل الله ، وقد وصفت مقدمة كتاب كلمة حق تقديم الشيخ للمرافعة بهذا الوصف قالت:
بسم الله الرحمن الرحيم
{الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ}..
وارتجت جنبات القاعة بالهتاف:
الله أكبر الله أكبر... فليرتفع صوت الأزهر..
الله أكبر الله أكبر... فليرتفع شأن الأزهر..

بينما تعلقت به الأبصار وهو يتقدم ليجلس في مواجهة قضاة محكمة أمن الدولة العليا.. وصمت الجميع وقد حبسوا الأنفاس يترقبون، وساد السكون لحظات مرت كأنها الدهر ثم انطلقت الكلمات من فمه.. عالية مدوية.. رزينة متئدة.. صادقة قوية.. تهز كل شيء.. تهز القضبان الحديدية.. وتهزنا.. تهز منصة القضاة.. وتهز ضمائرهم هزاً عنيفاً يترك آثاراً واضحة على قسمات وجوههم.. وتخترق الكلمات جدران القاعة، وتتعدى.. رغم الحراسات - أسوار المحكمة لتسري في وجدان هذه الأمة.. تحييه وتوقظه وتدفعه من حال الخمول والسبات إلى الحق والجد والبذل والعطاء..

وتحطم كلمات الشيخ عمر عبد الرحمن كل حواجز الشبهات وقلاع الأكاذيب التي أقامها النظام المصري ليحول بين المسلمين ودينهم..

وعشنا تلك اللحظات، عشناها بكل أحاسيسنا، نتابع كلمات سيتكبها التاريخ بذات المداد الذي كتب به كلمة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: (إذا تكلم العالم تقية، والجاهل يجهل، فمتى يعرف الناس الحق؟)..

إنه الحق الذي كان ينبغي أن يقال منذ أمد بعيد..

إنه الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال؟..

إنه النور الذي طالما حاربه الباطل وحاول إطفاءه.. ها هو يشرق ويسطع ضياؤه وأين!! في محكمة أمن الدولة العليا بمصر!!..

صدقت والله يا ربنا {وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} ومضى الشيخ ينافح عن دينه، يعرى الباطل ويفضحه، وانسابت فيوضات الحق تكتسح زبد الباطل فإذا به يذهب جفاء، وتتابعت الحجج والبراهين تحاصر الشبهات وتكيل لها الضربات فتزهق بإذن الله...

كانت فرحتنا غامرة، ونحن نرى الحق يشرق ويعلو والباطل يخفت ويندثر غير أن خاطراً ما، كان يلوح لنا بين الفينة والفينة فيقلل من هذه الفرحة.. إن الشيخ قد يدفع حياته ثمنا لهذه الكلمات.. قد نفقد شيخنا ومعلمنا.. نفقد أستاذنا ووالدنا.. نعم هو يرجو الشهادة ويطمع أن يكون مع سيد الشهداء مصداقا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى سلطان جائر فأمره ونهاه فقتله)..

غير أنّا في حاجة إليه، بل في أشد الحاجة إليه عالما ومعلما.. قائدا ومربيا.. وكنا نطرد هذا الخاطر ونعود بوجداننا نعيش مع الكلمات.. إلى أن باغتنا الشيخ بعبارات ترجم فيها ما يدور بخلدنا.. وانطلقت الكلمات تتحدى:

إنني مطالب أمام عقيدتي وأمام ضميري أن أدفع الظلم والجبروت وأرد الشبهات والضلالات وأكشف الزيغ والإنحراف وأفضح الظالمين على أعين الناس، وإن كلفني ذلك حياتي وما أملك، فإذا كانت النيابة تطالب بإعدامي فإن هذا لا يروعني ولا أحزن له، بل أقول حينئذ: (فزت ورب الكعبة) وأردد مستبشرا:

ولست أبالي حين أقتل مسلما على أي جنب كان في الله مصرعي

ولم نتمالك أنفسنا، ونحن نسمع الشيخ ينعى إلينا نفسه، وأبى الدمع إلا أن يفيض في مسيرة صامتة مهيبة.. يودع الرجل الذي أحببناه وسرنا معه، نعمل خلف رايته وتحت لوائه..

ولكن..

{أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ}...

وينجي الله - بقدرته - عبده من القتل.. ويخرجه من السجن.. ويبقيه لنا ولدينه..

بل وتشاء حكمته سبحانه وتعالى، أن تكون هذه الكلمات سببا في حقن دماء الكثير من الشباب المسلم المجاهد.. فبالرغم من أن المحكمة قد حكمت بالقانون الوضعي الحقير، إلا أنها أبت أن تقتل أحدا لأنها اقتنعت بسمو الغاية التي من أجلها قام هؤلاء.. هكذا قالت المحكمة سبحان ربي {إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ}... وسأله القاضي سؤالا مهما قانونيا :هل هذا رأيك الشخصي أم تنقل عن العلماء أجاب هذا ما أنقله عن علماء الأمة

مضمون مرافعة فضيلة الشيخ عمر عبد الرحمن

بعد أن حمد الله تعالى قدم المقدمة التالية:

فمنذ انطلق أول قبس من أنوار الهدى في رمضان سنة ثلاث عشرة قبل الهجرة ومنذ انبعثت الثورة الإسلامية بقيادة محمد صلى الله عليه وسلم تجدد شباب الحياة، .

منذ ذلك الحين حرص الإسلام على تربية الفرد المسلم

والأسرة المسلمة

والجماعة المسلمة

والحكومة المسلمة.

ربى الإسلام الفرد: عقله بالعلم، وروحه بالعقيدة والعبادة، وجسمه بالنظافة والرياضة، ليسلم ويقوى، وبالتداوي ليبرأ ويشفى.

وربى نفسه: بالتحلي بمكارم الأخلاق،
ورباه اجتماعيا: بالحث على الدعوة إلى الله وإلى الخير وعمل البر
وربى الأسرة: حافظ على كيانها
وحرص الإسلام كذلك على تربية المجتمع المسلم تربية صحيحة قويمة.
وحرص كذلك على إعداد جهاز الدولة المسلم والقيادة المسلمة وحث الحكام على الشورى والعدل والأمانة وأداء الحقوق، والحكم بما أنزل الله {وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ}..
ومن هذه المقدمة دلف الى قضية الحاكمية فقال:
إن التسليم بقضية الحاكمية لله عز وجل هي نتيجة بديهية وحتمية ومنطقية لأساسيات ثابتة في الدين، يعرفها الصغير والكبير ولا ينكرها عاقل.
فالله تعالى هو خالق كل شيء وله ملك كل شيء {الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً}..
فالسلطان لا ينبغي أن يكون إلا لله.. والحكم لا ينبغي أن يكون إلا لله {إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ}
فالحاكمية لله تعني أنه سبحانه هو المالك الآمر المشرع الذي لا يجوز لأحد غيره أن يحكم أو يأمر أو يشرع. فحق التشريع غير ممنوح لأحد من الخلق،

ثم بدأ الشيخ في عرض ما كتبه أئمة الأمة وعلماؤها في أربعة آيات تتعلق بالحاكمية وقال : ونأخذ في بيان هذه الآيات إن شاء الله بشيء من التفصيل...
أولا: قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً}.
وفصل فصيلا مستفيضا ثم قال:

الخلاصة: إن الحاكم لا يطاع لذاته وإنما يطاع لطاعته لله ورسوله وإن الخلاف بين الراعي والرعية لا يقضي فيه إلا الكتاب والسنة وعلى هذا أجمع الفقهاء سلفاً وخلفاً، وليس بعد كلام الله كلام وليس بعد حديث الرسول حديث، وليس بعد إجماع العلماء حكم.

ثانيا: قوله تعالى: {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}: وبعد أن سرد أقوال العلماء وآراءهم وخلافهم في تفسير الآية والأحكام المستنبطة منها قال:

وبعد..

فإن الحكم بما وضعه الأفراد من قوانين مستوردة من دول الكفر لتطبق في البلاد الإسلامية، ولا سيما في المواد التي هي صريحة في مخالفة الكتاب والسنة الصحيحة أو الحسنة، كفر بلا ريب وضلال لا يرقى إليه شك كإباحة الربا.. وممارسة الزنا، وإلغاء الحد على شارب الخمر، والزاني والسارق والمحارب ونحو ذلك وكذا يكفر من يتحاكم إلى ذلك القانون.. راضياً به.

ثالثا: قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً}..

والمعنى ألم تر إلى هذا العجب العجاب من قوم يزعمون الإيمان ثم يهدمون هذا الزعم في آن واحد، قوم يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ثم لا يتحاكمون إلى ما أنزل عليك وإنما يريدون أن يتحاكموا إلى شيء آخر وإلى منهج آخر وإلى حكم آخر، يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت الذي يخالف ما أنزله الله عليك وما أنزله على من قبلك،

رابعا: قوله تعالى: {فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً}..

يقسم الله تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يُحكِّم الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع الأمور فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد إليه باطناً وظاهراً ولهذا قال: {ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً}.. أي إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم، فلا يجدون في أنفسهم حرجا مما حكمت به وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلمون لذلك تسليما كلياً بغير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة

خامسا: قوله تعالى: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}..

والقضية في جوهرها تتلخص في الإجابة على هذا السؤال:

أيكون الحكم والشريعة والتقاضي حسب مواثيق الله وعقوده وشرائعه التي استحفظ عليها أصحاب الرسالات السماوية واحدة بعد الأخرى، وكتبها على الرسل، وعلى من يتولون الأمر بعدهم ليسيروا على هداهم؟

وبعد عرض هذا الجانب الشرعي تناول الشيخ اتهامات النيابة لشخصه بالتفنيد والرد

وفي ختام مرافعته قال:

أيها المستشارون.. إن الحق أبلج والباطل لجلج، وقد ظهر الصبح لذي عينين، وانقطعت المعاذير، وأقيمت الحجة، وجاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون.

٢٨) وختاماً:

فجريمتي أنني نقدت الدولة وأظهرت ما في المجتمع من مفاسد ومعاداة لدين الله ووقفت في كل مكان أصدع بكلمة الحق التي هي من صميم ديني واعتقادي، إن منابر المساجد وقاعات المحاضرات وساحات الجامعات تشهد كلها أنني عن الشريعة أذود وأدافع وفي بيان دين الله أصول وأجول وفي سبيل الإسلام أقدم النفس والمال.. إنني إن لم أفعل ذلك أكن عاصيا لربي ظالماً لنفسي مقصراً في حق الناس، إنني مطالب أمام عقيدتي وأمام ضميري أن أدفع الظلم والجبروت وأرد الشبة والضلالات وأكشف الزيغ والانحراف وأفضح الظالمين على أعين الناس وإن كلفني ذلك حياتي وما أملك..

أنا لا يرهبني السجن ولا الإعدام، ولا أفرح بالعفو أو البراءة، ولا أحزن حين يحكم علي بالقتل، فهي شهادة في سبيل الله وعندئذ أقول: فزت ورب الكعبة، وعندئذ أقول أيضاً:

ولست أبالي حين أقتل مسلما على أي جنب كان في الله مصرعي

وعند ذلك انطلق هتاف قوي من داخل الأقفاص الحديدية بالمحكمة رج القاعة رجا شيدا يقول:

فإ ن قتلوك ياعمر بن أحمد فإن الله يختار الشهيد

إنني مسلم أحيا لديني وأموت في سبيله، ولا يمكن بحال أن أسكت والإسلام يحارب في كل مكان، أو أن أهدأ وأمواج الشرك والضلال تتلاطم وتغمر كل اتجاه {أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ} كيف لي أن ألين والطغيان يزداد صلفاً وعتوا {فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ* وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ} كلا وألف كلا.. لن نرضى بحكم الطواغيت، ولن نستكين لحكم العبيد، الذين يستبدون بالناس ويذلونهم ويعبدونهم لغير الله...

إن هذا الدين لا ولن يموت ولو كان يموت لمات يوم أن كان في مكة محاصرا مطاردا وكان وقتها وليدا أو نبتة صغيرة لكنه بقي وظل شامخا...

إن هذا الدين لا ولن يموت ..ولو كان يموت لمات يوم أن أخرجوا رسوله فريدا وحيداً ليس معه إلا ربه ثم صاحبه ولكنه هاجر واجتمع حوله المهاجرون والأنصار وتكونت دولة الإسلام وقويت شوكتها ...

إن هذا الدين لا ولن يموت ولو كان يموت لمات يوم أن حوصرت المدينة في غزوة الخندق إذ جاءوهم من فوقهم ومن أسفل منهم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وظنوا بالله الظنونا ولكنه بقي وارتفعت رايته وبلغ ما بلغ الليل والنهار...

أيها المستشار رئيس محكمة أمن الدولة العليا:

لقد أقيمت الحجة وظهر الحق وبان الصبح لذي عينين فعليك أن تحكم بشريعة الله وأن تطبق أحكام الله فإنك إن لم تفعل فأنت الكافر الظالم الفاسق لأنه يصدق فيك قول الله: {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}، {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}، {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} وليس الحكم بمنتهي في هذه القاعة ولا في هذه الدنيا بل الحكم هناك ينتهي أمره في الآخرة يحكم فيها الحكم بالعدل: {يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ}...

وإننا لا نخشى سجنا ولا إعداما ولن نرهب بأي تعذيب ولا إيذاء.. ونقول ما قاله السحرة لفرعون: {لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا}...

واعلم أيها المستشار.. أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث فكيف إذا أتاها من يليها، وأن الله أنزل القصاص حياة لعباده فكيف إذا قتلهم من يقتص لهم، واذكر أيها المستشار الموت وما بعده وقلة أشياعك عنده وأنصارك عليه، فتزود له ولما بعده من الفزع الأكبر، واعلم أيها المستشار أن لك منزلا غير منزلك الذي أنت فيه، يطول فيه ثواؤك ويفارقك أحباؤك، ويسلمونك إلى مقرك فريداً وحيدا، فتزود له ما يصحبك {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ* وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ* وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ}

واذكر إذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور، فالأسرار ظاهرة والكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. فالآن وأنت في مهل، قبل حلول الأجل، وانقطاع الأمل، لا تحكم في عباد الله بحكم الجاهلين، ولا تسلك بهم سبيل الظالمين، ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين، فتحمل أثقالك وأثقالا مع أثقالك، ولا تنظر إلى قدرتك اليوم ولكن انظر إلى قدرتك غدا، وأنت

مأسور في حبائل الموت، وموقوف بين يدي الله في مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين، وقد عنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما..

أيها القاضي المستشار رئيس محكمة أمن الدولة العليا: حق الله ألزم من حق رئيس الجمهورية والله أحق أن يطاع فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وإذا قالت لك النيابة: كلم وزير العدل على المسرة فلا تبال، وأنت حقا لا تبالي، واعرض أوامرهم وكتبهم على كتاب الله عز وجل فما وجدته موافقا لكتاب الله فخذ به، وما وجدته مخالفا لكتاب الله فانبذه..

أيها المستشار رئيس محكمة أمن الدولة العليا: اتق الله فإن يوشك أن يأتيك رسول رب العالمين يزيلك عن كرسيك، ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك، فتدع سلطانك ودنياك خلف ظهرك، وتقدم على ربك، وتنزل على عملك..

أيها القاضي المستشار رئيس المحكمة: الموت طالب لا يمل الطلب، ولا يبطئ الخطا ولا يخلف الميعاد، ولا يعجزه المقيم، ولا ينفلت منه الهارب.. وذكر سكرة الموت كفيل برجفة تدب على الأوصال، الموت الذي يصرع الجبابرة بنفس السهولة التي يصرع بها الأقزام، ويقهر به المتسلطون كما يقهر المستضعفون سواء.. وهو رحى دوارة بين الخلق، وكأس يدار بها عليهم، لا بد لكل ذي روح أن يشربها وأن يذوق طعمها، وهو هازم اللذات ومنغص الشهوات الموت الذي يفرق الأحبة، ويمضي في طريقه لا يتوقف ولا يتلفت، ولا يستجيب لصرخة مقهور ملهوف ولا لحسرة مفارق، ولا لرغبة راغب، ولا لخوف خائف.. الموت الذي لا حيلة للبشر فيه وهم مع هذا لا يتدبرون القوة القاهرة التي تجريه.. فكيف بك أيها المستشار إذا ورد عليك مذلل الملوك وقاهر الجبابرة وقاصم الطغاة، فألقاك صريعاً بين الأحبة والجيران، مفارقا لأهل بيتك وإخوانك، لا يملكون لك نفعا ولا يستطيعون له دفعا.

أيها المستشار رئيس المحكمة: إن الله يمنعك من الحكومة، وإن الحكومة لا تمنعك من الله وإن أمر الله فوق كل أمر، وإنه لا طاعة في معصية الله، وإني أحذرك بأسه الذي لا يرد على القوم المجرمين.. أيها القاضي المستشار، الحساب من ورائك سوط بسوط وغضب بغضب، والله بالمرصاد، والسلام عليكم ورحمة الله...

الإثنين
٢٥ جمادى الأولى ١٤٠٤ هـ
٢٧ فبراير ١٩٨٤ م

شخصياتنا ووضوحها

خلال الفترة التي عشناها سويا ارتسمت شخصية كل واحد فينا وأخذت طريقها في النمو في ذهنية الباقين والحقيقة انه كانت كلما وضحت الشخصيات زاد التقارب والحب والأجمل من ذلك زاد الاحترام والتقدير المتبادل

وقد ساعد على وضوح تاريخ كل واحد منا برنامج نظمه الشيخ اسامة حافظ وهو جلسة حوار شامل نتعرف فيها على واحد منا كل اسبوع وكان يسميها اسما طريفا قصد به مداعبة الضيف من ناحية وكذلك ليحمله على الافضاء بكل ما لانعرفه عنه فلا يعقل أن نعيش سويا متلاصقين في هذا المكان ولانعرف بعضا معرفة جيدة تفصيلية ما أمكن .

هذا الحوار الممتع كنا نجلس فيه منجذبين طوال الوقت لاتريده ان ينتهي وغالبا ما نطلب حلقات اضافية

كانوا اذا تردد ضيف الحلقة في ذكرشيء أو تأخر في الاجابة على سؤال يداعبونه بتهديده كما فعل بهم في التحقيقات: "ستتكلم يعني ستكلم " "ولدينا اكثر من وسيلة تجعلك تتكلم وتقول كل شيء"

كانت أعظم ثمراته هي اكتشاف الجوانب المجهولة في شخصية كل منا وقد نجم عن هذا الاكتشاف أمران عظيمان

الأول اكتشاف ان بعض الشخصيات تشتهر بجوانب جميلة في شخصيتها لكن هذه الجوانب ليست هي الأقوى في شخصيتها مثال ذلك شخصية الفاروق عمر رضي الله عنه فقد كان قبل خلافته مشهورا بالقوة والحزم والحسم ولم يكن أحد يعرف بل لايتوقع منه رقة القلب والخشوع والخشية الظاهرة لله تعالى حتى يضرب بها المثل

فكذلك كثير من شخصيات هؤلاء الاخوة كانوا مشهورين بأمور ما لكن بعد معايشتهم اكتشف أن هناك جوانب غير ظاهرة هي الأقوى مثال ذلك الشيخ رفاعي طه كان مشهورا بالقوة والعناد والغضب حتى اننا في فترة خلا العنبر من القيادة فتوجهت الأنظار الى توليه هو ! وهنا همس بعض الاخوة ان الشيخ شديد ولكننا فوجئنا برقة الشيخ رفاعي رقة شديدة ثم فيما بعد عرف عنه قرب دموعه خصوصا اذا أصاب احد الاخوة مكروه

كذلك الشيخ كرم لم يكن أحد يتوقع أنه يتمتع بأي عاطفة فهو رجل العمل المسلح والتنظيم والحركة ولكن المواقف والمسؤليات أظهرت لنا هذا الجانب الخفي من عاطفته ورقته وكثرة ذكره لله وحرصه على طهارة قلبه

كما كان من ثمرات التعارف بيننا تقدير بعضنا لبعض خصوصا الذين كانوا مغمورين منطوين بينما يحملون مباديء وقيم سامية يضحون من أجلها وتاريخ عطاء جميل في ساحة قد انتهى دورها بالسجن وأصبحوا في ساحة جديدة ومجتمع جديد ربما لايجدون فيه مجالا للعطاء الا الانكفاء على طلب العلم او خدمة الاخوة بسخاء وتواضع وتبسط يخفي بقية معالم هذه الشخصية وما فيها من جوانب عظيمة

إن من أكبر المشكلات النفسية في السجن هي شعور الانسان بان تاريخه قد قبر ودفن معه في هذه المقبرة وقد اصبح بين ناس لايعرفونه وربما يفاجأ بمعاملة ممن يجهله على أساس يسيء به الظن أو يتهمه بالظاهر أو يتكون لديه انطباع غير حقيقي نتيجة الجهالة بتاريخ وشخصية ومواقف وحقيقة من معه ولذلك فان المسجون غالبا ما يقتله الحنين الى أصدقائه ومعارفه القدامى الذين يعرفونه عن قرب لاحساسه بالغربة في عالمه الجديد

كما ساعد على ظهور الشخصيات ـ أي وضوحها ـ ضيق المكان مع طول الفترة التي قضيناها مع الاضطرار الى كثرة الاحتكاك والتعامل نظرا لأن المرافق كلها مشتركة

مع الوقت اصبحنا نعرف معالم كل شخصية

فالدكتور عمر عبد الرحمن عرف بهمته العالية في العبادة والعلم التي لايجاريه فيها احد من الشباب كما عرف بسعة علمه وفقهه وبحبه للقرآن وانشغاله به طول الوقت وبتدينه وتقواه وكذلك بقربه من الشباب كان الأصل في وقته مراجعة القرآن فاذا انشغل بشيء غيره عاد اليه فور انتهائه منه

والشيخ كرم زهدي عرف بيننا بانه أسد في شجاعته كذلك بفصاحة لسانه وبيانه وبرقة قلبه وعاطفته هذه الأخيرة لم تكن معروفة عنه خارج السجن وإنما ظهرت لنا عند معايشتنا له ، كان قويا عزيزا حتى في أشد الأيام.

والشيخ عبود الزمر عرف بيننا بقوة شخصيته العسكرية وعزته وعناده للباطل والظلم وقد حكى لنا انه بعد حجزه للتحقيقات وفي ظل الظروف المرعبة للجميع نادى المجند الحارس له وأمره ان يذهب للضابط ويبلغه انه يطلب فنجان قهوة ! وكان ذلك تأكيدا منه انه ثابت معنويا كما انه في اول يوم في المحكمة وعندما نادى الحاجب بصوت جهوري حاسم: "محكمة " سارع وراءه بعبارة قوية قال " ليعلم كل من في هذه القاعة ان جلسات هذه المحاكمة تدار من داخل هذا القفص الحديدي " ولا أدري كيف مررها القاضي ولم يعلق عليها

كما اتسم الشيخ عبود بأخلاقه العالية ونبله كسليل عائلة كبيرة من الأشراف من قرية ناهيا هو وابن عمه الشيخ طارق وربما كانت هذه الصفات متوقعة من مثله من قبل معايشته لكن بعد معايشته عن قرب وجدنا فيه حب العبادة والمداومة على تلاة القرآن والأذكار

الشيخ نبيل المغربي كان مسنا اشتهر بيننا بطيبة قلبه وبعزمته القوية وعدم الاستسلام للواقع كان يقول: القعود خيانة وإياكم والقعود فقد أهلك من كان قبلكم رحمه الله

والدكتور ايمن الظاهري عرف بكرمه الشديد كانت أسرته ترسل اليه زيارة يوميا في رمضان كانت تدخل كلها الى المطبخ مباشرة ولاتمر على زنزانته كما عرفناه بتواضعه الشديد قال له احد الضباط : أنت من أسرة عريقة ونعرف انك موجود الآن

مع أناس جاءوا من وارء الجاموس وأراد أن يكمل فقال له هؤلاء الذين تتكلم عنهم أساتذتس وأنا أتعلم منهم

كما كان على درجة كبيرة من العلم بمايخص الدولة الاسلامية وكان له درس في كتاب " الأحكام السلطانية"

ودروس اخرى من كتابي "الخراج" و"الأموال" وغيرها كما كان مرحا ظريفا مبتسما متفائلا

والشيخ حمدي عبد الرحمن اشتهر برقته وحلمه ولطفه ورقي ذوقه كان مبعوثا للصلح والتوافق وسمي بـ "المرهم" اذا حدث غضب وقطيعة ثم ذهب الشيخ حمدي يقول المراقبون: ذهب المرهم ذهب المرهم فسيبدأ الصلح . كانت له دروس جميلة يستنبطها من السيرة النبوية يبدا كل درس بعبارة :درسنا اليوم مهم جداً.

والشيخ رفاعي سرور اشتهر بعكوفه على الاطلاع والكتابة واستنباطاته من القرآن وبتنظيمه لافكاره وهدوئه ووقاره وبتفسيره الجيد للأحلام

والشيخ اسامة حافظ اشتهر بهدوئه وبساطته وكبره ونبله وسعة علمه خصوصا في الفقه وأصوله كان له درس منتظم في الفقه أنهى لنا فيه أبواب الفقه كلها واشهر دروسه تعبيرا عن شخصيته "أخلاق الكبار" وأهل الفضل

والشيخ رفاعي طه اشتهر بأول معنى أرساه في عنبر التجربة وهو أن المسلم لايعرف المستحيل وكان هذا عنوانا على شخصيته وتاريخه عرف بالجمع بين شدته على اعدائه ورقته على اخوانه في وقت واحد وعرف ايضا شغفه بالتأصيل والتنظير كانوا يقولون: الآن ياتي فيقعد على رؤسنا القواعد.

والدكتور ناجح ابراهيم كان أشهر القيادات بالرفق والرحمة والعطاء وسعة الصدر كان والدا من قبل أن يتزوج كانت كنيته ابو الفضل وهي عنوان شخصيته وهو أول من أرسى ـ بقدوته ـ مبدأ الأمير أول من يعطي وآخر من يأخذ وأول من يستيقظ وآخر من ينام كان عمله بهذا المبدأ قويا ظاهراً

والشيخ عصام دربالة اشتهر بعزمته ونظامه لوقته ومكانه وأفكاره وطريقة عرضه وشغفه بالعلم والبحث وبسماعه وانصاته لمحدثه وحفاظه على أسراره وكانوا يقولون

عصام دربالة يربي قيادات بينما غيره يربي جنودا وقد أرسى مبدا الاهتمام بالأخ وحالته المادية وعدم الجائه للطلب

والشيخ عاصم عبد الماجد اشتهر بجرأته وعلو نظرته واعتزازه بدينه وبنفسه فهو متطلع للأمام ولا ينهزم وقف في المحكمة فصاح أقسم بالله العظيم لو أخرجني الله من السجن لأطأن بعرجتي هذه فوق رؤس الظالمين .رفض نفي الأحداث التي تطالب المحكمة باعدامه بسببها وقال اننا نعتز بها وهي تاريخ لايسعنا انكارحدوثه واشتهر أيضا بخطه الجميل واسلوبه القوي العذب في الكتابة وهوالأقوى أسلوبا في البيانات الرسمية والأروع في القصة القصيرة

والشيخ علي الشريف اشتهربخفة ظله وحبه للعلم وخصوصا الفقه واللغة العربية واعتزازه بنسبه من الأشراف وحبه للجهاد وكان له درس في الفقه في آيات الأحكام طيب القلب ومافي قلبه على لسانه . اشتهر أيضا بعزته حتى انه قال لقائد العنبر والله سنخرج من السجن واضربك بالنار

والشيخ طارق الزمر اشتهر بهدوئه الشديد وحيائه وسمو أخلاقه وذوقه مترفع عن الصغائر مشغول دائما عاكف على الدراسة والبحث وقد حصل على الدكتوراة في السجن

والشيخ طلعت فؤاد اشتهر رحمه الله بهدوئه وأخلاقه الراقية ورقة قلبه وبفصاحته منظم مهندم له مرح واشتهر ببلاغته وأسلوبه الرائع في الكتابة له عبارة مشهورةمتداولة: حبا وكرامة ونصرة وموالاة ....الخ

الشيخ فؤاد الدواليبي اشتهر بانه خدوم جدا متحمل لمسؤليته حركي جريء مرح جدا خفيف الظل وشهم فهو من عائلة ملتزمة وضعت كل أبنائها في خدمة الاسلام وكان له ثلاث اشقاء آخرون في سجون مختلفة وبعيدة عن بعضها علي وعلاء وجمال

والشيخ صالح جاهين اشتهر بطيبة قلبه واخلاقه وتواضعه وحبه للصلح والتسامح وقربه من الجميع وبساطته وعلمه خصوصا في باب الجهاد

شريف عبد الرحمن توفيق المدني كان طالبا بكلية الهندسة مهذبا لاتكاد تسمع له صوتا واشتهر بيننا بأخلاقه وادبه ظهر في العتبر عندما تولى مسؤلية الطابور الرياضي فابتكر فيه ونشطه

الدكتور صفوت الأشوح اشتهر بذوقه الرفيع المستمد من تربية والده واسرته هاديء الطبع سليم الصدر قليل الكلام محبوب من الجميع لكنه مختصر

الشيخ اسامة قاسم رحمه الله اشتهر بأنه عربي أصيل وبحرصه على العلم وخصوصا اللغة العربية فقد كان تلميذا للشيخ السماوي رحمه الله وبحبه للجميع كان يستعان به في المصالحات

الدكتور احمد عبده سليم اشتهر بتواضعه وقربه من الجميع له فكاهة طريفة وهو مساعد دربالة في كتابة بحث العذر بالجهل ومدرسه احيانا كان له درس اسبوعي انهى فيه كتاب "إحياء علوم الدين" للامام الغزالي وكان أسلوبه فيه رائعاً خصوصا وقد كان يمثل قدوة فيما يدرسه وينصح به .

الشيخ محمد مختار اشتهر بأنه تلميذ دربالة النجيب عال الهمة شغوف بالعلم والعبادة متعدد المواهب رأس تحرير مجلة في السجن وتعلم الخط من أجل الكتابة فيها حيث كان يخطها بقلمه كانت دروسه في مجال التربية وشرح مدارج السالكين وقد تولى في العنبر مهمة "المحتسب"

حسن عاطف كان ابن بلد خدوما يحب القطط ويربيها عنده يحب العشرة تولى الطابور الرياضي فترة فاقترب من الاخوة كثيرا وأحبوه لتواضعه وخدمته

الشيخ علي فراج اشتهر بأنه خدوم لا يمل من خدمة اخوانه متواضع طيب الكلمة واسع الصدر أب لكل من يصغره .

طارق المصري

كان من اهم الشخصيات كان بدينا جدا وعلى قدر ضخامة جسمه طيبة قلبه كنا نشفق عليه فهو من مصر الجديدة لم يعرف شقاء الدنيا الا في المعتقل وحين خرج في سبيل الله مع جماعة الجهاد

وكان اذا اشتد الحر في عنبر التجربة وهو أشد عنابر السجون ينبطح المصري أرضا ليضع أنفه على اي فتحة تحت الباب يتنفس لعله ينجو من الموت ورغم شدة معاناته كان مرحاً

قال له احد الاخوة يوما هو انت مصري واحد؟ أنت اكثر من مصري فأصبحوا يناونه يامصريون وهو يبتسم.

كان يحب ان يدخل السرور علينا فيتمشى مع أنحف أخ في العنبر فيقف الاخوة يتفرجون على المشهد الجميل ويحذرونه من "جموم" النحيف

رغم سنه كان يقول عن أمه "ماما" ولم يكن هذا شائعا على ايامنا على ألسنة الكباركهذه الأيام ... كان للأطفال فقط

فعندما كان يعود من الزيارة يتهادى بجسمه يمينا وشمالا يتعمد الاخوة الصعايدة أن يسألوه جهارا: من الذي جاءك يامصريون؟ حتى يسمع العنبر كله الاجابة وهو يفهم قصدهم فيجيب: جاءتني ماما ويضحك ويضحكون

ابو بكر عثمان اشتهر برجولته واعتزازه باسلامه ونفسه وبزهده في الدنيا وشغفه بالسياسة تتكدس عنده تحقيقات الجرايد كان من أوائل المشاركين في اللجنة السياسية بالعنبر كان كاتب قصة ممتازلايسبقه الا الشيخ عاصم عبد الماجد في كتابة القصة

الدكتور خالد حفني هاديء لايسمع له صوت عاكف على الدراسة والعلم منظم الأفكار والوقت والمكان جدا كان الأشبه بعصام دربالة في هدوئه ونظامه دون تكلف

محمد يحي كان لايخرج من زنزانته الا قليلا شغوفا بالسياسة كان يعد نشرة الأخبار ويشارك في تقديم الندوات السياسية وشارك في اللجنة السياسية بالعنبر له مباديء وقيم لايتنازل عنها

آل العطيفي طارق وسمير وماجد أشقاء كانوا في زنزانة واحدة لمدة اشتهروا بالقوة والجراة واشتهر سمير بحب ابن حزم وفقهه بينما اشتهر طارق بتنظيمه لوقته وافكاره وحبه لأصول الفقه واشتهر ماجد رحمه الله برجولته وشهامته وخدمته

اننا نذكر تنظيم الوقت كصفة يشتهر بها البعض لأن الحياة الجماعية تحتاج الى قدرة كبيرة وصرامة في تنظيم الوقت وإلا يضيع وقته وعمره

مرتضى خليفة كان هادئا جدا لايكاد يسمع له صوت الا في المسائل العلمية وعند التشاور فهو ذو رأي يحب أن يبديه ولايخفيه ويناقش كثيرا خصوصا يما يحتاج الى أدلة وكان محبوبا ودودا لطيبته ورقة قلبه

ـ صفوت عبد الغني كان في السنة الأولى بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية ولكنه حول منها لاشتراطها الحضور لذا كان مجتهدا شغوفا بالدراسة والبحث معتمدا على نفسه مشغولا طول الوقت انتهى من حفظ القرآن في مدة قياسية ليتفرغ للعلم وشارك في نسخ بحث العذر وبحث "الرد على التكفير"وأعد بحث "الايمان وقضاياه الستة" باشراف عضام دربالة كان يعد متفوقا على سنه واقرانه

ـ صابر حسن من نجع حمادي بقنا يشبه الشيخ عبد الباسط عبد الصمد مقلدا له في صوته كثير العبادة مهتما بالقرآن أعد بحثا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ـ حسني النجدي اشتهر بالخدمة فهو شاب اسيوطي يتعبد لله بخدمته لاخوانه يستجيب لطلباتهم حتى اصبح كل من يريد مساعدة في شيء يتوجه الى حسني النجدي فتسمع اسمه طوال اليوم وهو راض وسعيد وكان مهذبا للغاية رجلا قوي البنية طويل القامة خفيف الحركة سريع النجدة رحمه الله

طلعت ياسين كنا نقول انه سابق لسنه مبتكر مهذب جريء في نفس الوقت مجتهد جداكان وقتها طالبا بكلية الهندسة عالي الهمة

زواج في الليمان

من الطريف أن المهندس سمير خميس وكان ضابطا احتياطيا من القاهرة متهما معنا بليمان طرة أصر على عقد زواجه قبل موعد الحكم رغم أنه كان متوقعا براءته وقد احتفلنا به وكان سعيدا جدا لأن الحياة تأبى إلا أن تمضي فنحن لسنا جالسين واضعي أيدينا على خدنا منتظرين لمصيرنا بل حياتنا ماضية ..وكان هذا المعنى جميلا يتكامل مع معنى لبس المتوقع إعدامهم للملابس الحمراء اعلانا لنفس المعنى لسنا خزايا ولا بائسين لكوننا محبوسين

أثر التكامل بين شخصيات القيادات على التربية

يبدو أننا لم نكن خارج السجن نرى جانبا آخر من شخصية الشيخ كرم فكشفها لنا القرب منه أو لعل احساسه بمسؤوليته عن اخوانه الذين سجنوا ولد هذه الرقة

والعطف والتأثر الشديد لإصابة أي أحد بمكروه بينما كنا نعرف عن الشيخ كرم زهدي خارج السجن شجاعته وإقدامه وعزة نفسه ودعوته للعزة والإباء والكرامة والقوة والتوكل على الله وصدعه بكلمة الحق وغضبه لله وانتصاره له ولعل هذه الصفات هي التي عانقت شخصيته بشخصية الدكتور عمر عبد الرحمن فقد كان كذلك يحب الشخصيات الشجاعة القوية الفعالة ويحب أن تكون التربية الاسلامية في إطار القوة والهمة العالية لا في إطار الضعف والخمول.

هذا الجانب من الصفات والخطاب مثل صفحة أو جانبا أو شقا مهما من جوانب التربية في الجماعة الاسلامية خصوصا وهناك عدد من الأخوة الكبار يتصف بها مثل الشيخ عبود الزمر والشيخ عاصم عبد الماجد وطلعت فؤاد أما الجانب الآخر المكمل فهو جانب الحب والقرب وقد مثل هذا الجانب والتربية عليه شخصيتان مهمتان هما عصام دربالة ود ناجح إبراهيم

لقد ظهرت شخصيتهما بوضوح في تلك الأيام التي بلورت فيه الجماعة الاسلامية نهجها العملي في التربية عمليا بالمعايشة كما بلورت تماما فكرها النظري في الأبحاث لذا كانوا يدققون في تصرفاتهم باعتبارها تؤسس للمستقبل

شخصية عصام دربالة في ليمان طرة

كان أول عمل قام به عصام دربالة هو جمع شباب الجماعة الاسلامية لتحصينهم من العقائد والأفكار الأخرى التي سبق وقلنا إنها كانت تنتشر في السجن وتتفاعل وتعقد لها المناظرات بين المشاهير.

لم يتنقل هو بين الزنازين في صخب النهار بل جمع دربالة الشباب في زنزانته على مجموعات بالليل حيث كان يقضي الليل كله يشرح من ذاكرته الرد على التكفير والشبهات المثارة حول الجماعة وعملها وقضية العذر بالجهل.

اشتهر الشيخ عصام بهدوئه الشديد واهتمامه بالتربية على النطاق الضيق ولم يكن خطيبا لكنه متحدث حديثا منظما مُحضَّرا بعناية.

والذين عايشوه في زنزانته يرون حبه لتنظيم وقته وعمله بما يسمح له بالقيام بمسؤولياته وأعماله الكثيرة فهو الذي ينشئ له ولمن معه عملا دائما ينشغل به في كل ظرف فلا يرى دربالة فارغا قط.

واشتهر دربالة باهتمامه بكل شخص اهتماما شاملا فهو يحصر اخوانه في المكان على سبيل الحصر ويجلس مع كل واحد منهم على انفراد ويسأله عن كل أحواله واهتماماته وماذا يقرأ وعن مشكلاته وأسرته واتصاله بها ويعرض مساعدته سائلا

هل يمكننا مساعدتك بأي طريقة تراها؟ وله أسلوب مميز في انتقاء كلماته ليعبر عما يريد وبوسعه أن يبلغ محدثه أي معنى ولكن بأسلوب مهذب .

ينتهي اللقاء مع الشيخ عصام بخطة يساعد فيها الشاب على وضعها معه بنفسه بوضوح دوره واهتماماته وماذا سيفعل تجاه كل شيء وبالتالي يبدأ الانطلاق المدفوع بالحب والوضوح المدفوع بالهمة والطاقة التي أمدها الشيخ لتلميذه لأجل ذلك نال دربالة حب جميع تلاميذه لدرجة الاستعداد للتسليم لتوجيهاته التربوية وأذكر أننا سمعنا مقدمة النشرة الاخبارية فاهتممنا وأنصت الجميع كمعتقلين نهتم بالأخبار لعل فيها ما يخصنا وإذا به يغلق المذياع ثم يقول: لو كنا ننصت هذا الانصات للقرآن لتغير حالنا. فعجبت له كيف تجرأ على هذا آمنا من ردود الفعل؟ وكيف سكت الجميع ولم ينطق أحد بل تأثر فعلا بالمعنى؟ ثم أدركت أنه سلطان الشيخ المحبوب المهاب الذي لا يقدر على هذا غيره.

أما شخصية د. ناجح ابراهيم

فقد كان أول عمل عرف به الدكتور ناجح إبراهيم في سجن الاستقبال هو أن فوجئ المعتقلون به يمارس الدعوة الى الله في السجن فيقوم بتحفيظ حديث نبوي كل ليلة ثم يشرحه ثم يعقد مسابقة بسيطة يقدم بها جوائز رمزية للغاية.

كانت قيمة هذا العمل في جرأته أولا في هذا الجو المرعب الذي كانوا يعيشونه في تلك الأيام في المعتقل. وقد أصر على القاء هذا الحديث رغم ما تعرض له بسببه فكان هذا الاصرار رسالة عملية قوية لإخوانه رفعت من روحهم المعنوية كثيراكما أنه نال حب الجميع من الجماعة وغيرها.

بعد انتقاله إلى ليمان طرة كان أشهر القيادات بالرفق والرحمة والحلم والعطاء وسعة الصدر مع الجميع حتى الجنائيين والعساكر

كان والدا من قبل أن يتزوج

كانت كنيته "ابو الفضل" وهي عنوان شخصيته وهو أول من أرسى ـ بقدوته ـ مبدأ "الأمير أول من يعطي وآخر من يأخذ وأول من يستيقظ وآخر من ينام" كان عمله بهذا المبدأ قويا ظاهراً لذا كان كثيرا ما يترك طعامه ولا يكمله انشغالا بحاجة أخ .

وأذكر أنني تأخرت يوما في الخروج لجلسة المحاكمة فرأيته بعد أن تمم على خروج جميع الاخوة يبحث عن حذاء أو شبشب يلبسه وتوقع أن يكون أحدا قد احتاج حذاءه فأخذه كالمعتاد برضاء منه.

بعد أن رجعت من زيارة أهلي مرة انفرد بي وسألني عن أسرتي ولم يكن السؤال عابرا رغم كثرة انشغالاته ويعتبر هو أول من سن هذه السنة وجعلها عملا ومهمة من

مهام الأمير لا يدخل زنزانته قبل أن يؤديها ويسأل كل زائر اليوم عن أهله لعله يحتاج الى مساعدة نفسية أو مادية وصار هذا متبعا في الجماعة حتى اليوم.

ود. ناجح هو الذي استطاع ابتكار نظام حياتنا في السجون بعد فترة من الحيرة بيننا كأول مرة تعرفنا السجون جميعا ألا نادرا منا وفي طريقه لإرساء هذا النظام اتضح جانب كبير من شخصيته.

ذهبت اليه غاضبا ليستثنيني من النظام الذي وضعه ولكن بعد حديث طويل قمت ولم أحصل على ما أريد لكني راض! ولعله صاغ هذا النهج بكلمته المشهور ة الحق مر فلا تزده مرارة بأسلوبك.

لقد تكامل ناجح ابراهيم مع عصام دربالة وغيرهما من القيادات في تأسيس الحب الشخصي النابع من الود والقرب والاهتمام الخاص والتقدير والتفاعل كأساس للتربية.

كما تكامل هذا الحب والقرب مع الشجاعة والعزة والقوة والصمود الناتج عن الصدق والعزيمة القوية وأخلاق المجاهدين التي ظهرت واضحة مؤثرة في قيادات أخرى في وضع إطار عام للتربية وتجهيز النهر الذي تتدفق فيه الحياة والروح بين أبناء الجماعة عامة وبين الاخوة الكبار كما كنا نسميهم.

رحم الله من مضى رحمة واسعة وجزاهم عنا وعن الاسلام والمسلمين خيرا وبارك لنا فيمن بقي وأحسن إليهم..

المنشقون

أثناء المحاكمة كان أحد الاخوة يخرج منفردا ليقابل ضابط العنبر فوقعت شكوك حوله وبعدها بالفعل تمت مقابلته مع ضابط كبير من أمن الدولة وبعد المقابلة حدثنا أنه وعده بالخروج مقابل كتابته رأيه في الأحداث وإدانتها ! وتعجبنا من اقتناعه بذلك فالقضية أصبحت في يد المحكمة ولا دخل لأحد آخر فيها لكنه أصر أنه سيخرج قريبا ويمتحن في الكلية؛ وتطور الأمر الى نقله لمستشفى القصر العيني وهناك التقى بمجموعة من سجون أخرى وفوجئنا بالنيابة تقول في الجلسة أن عددا من المتهمين قد انشقوا لعدم قناعتهم بما يعتقده المتهمون وعزلوهم في قفص منفرد بعيدا عن بقية الأقفاص وحاول بعضهم اثارة الخلافات والمشاكل وشرب السجاير أثناء الجلسة لإثبات مخالفتهم وبراءتهم من الباقين ولكن المحكمة لم تهتم بذلك كثيرا وظلت الوعود تتجدد لهم كل فترة وتؤجل إلى أن وعدوهم بالبراءة من الأحكام

حتى كانت المفاجأة يوم النطق بالحكم حيث ذهبت الوعود سدى وحكم عليهم أحكاما مختلفة

قبل يوم النطق بالحكم

قبل يوم النطق بالحكم ١٩٨١/٩/٣٠ اشتعل الاستعداد لما بعد الحكم

كان عنبر التأديب الذي يسكنه معظم القيادات وبجوراه عنبر ٤ (التجربة) خلية نحل لاتنام

كل منا قد استلم مشروع تفكيروطُلب منه أن يقدم حصيلة تفكيره فدخل كل منا في حوارت هادفة ومناقشات وتحليلات واستنتاجات وتوقعات ممنهجة لما بعد الحكم وما يجب علينا بناء على ذلك؛ سواء في ذلك المتوقع بقاؤهم لتنفيذ الأحكام او المتوقع الافراج عنهم.

كان المطلوب ان نفكر فيما سيحدث لحظة بلحظة منذ أن نخرج للمحكمة حتى النطق بالحكم وماذا سيفعل كل قسم منا بعد ذلك؟

نشرت الصحف حوارا مع وزير الداخلية اللواء أحمد رشدي وصرح بان الوزارة ستتعامل مع المفرج عنهم بسياسة القبضة الحديدية التي تجهض أي محاولات لاعادة التنظيمات السرية قال سنفاجئهم بضربات اجهاضية استباقية.

كانت أخبار الاخوة خارج السجن تصلنا فنعلم أنهم يعانون معاناة شديدة من الاستدعاءات المتكررة والتضييق عليهم ومعاملتهم معاملة مهينة .

كان أحدهم اذا لقي أخا له في الله في الطريق فاذا سلم عيه تم استدعاؤهما وتعذيبهما وسؤال كل منهما: ماذا قلت له وقال لك ؟

وكان الاستدعاء متكررا للسؤال بالتفصيل عن حياة الانسان اليومية فاذا لم يذهب لهذا المتابعة لأي ظرف داهمت بيته حملة شرسة لتاديبه وتعليمه الامتثال.

كان الوضع يمثل لهم فتنة .. كنا ندعو لهم ونقول انها أشد من فتننا فنحن نجد على الصبر أعوانا ولا يجدون على الصبر أعوانا

كان هذا يعني أنه حتى من سيفرج عنه سينتقل الى محنة أو فتنة أشد لذا كانت غيوم المستقبل شديدة القتامة ورغم ذلك فالعزمة على الدعوة والثبات والاستمرار والتضحية كانت قوية .

كنا نسمع أنه لايوجد مسجد في مصر يمكن أن تلقى فيه أي دروس من أي نوع حتى الشيخ عبد الحميد كشك ماعاد يخطب الجمعة ولا مسجد أنس بن مالك تخرج منه جماعة التليغ والدعوة في سبيل الدعوة ثم لاحقا ربما في سنة ١٩٨٣ سمعنا أن الشيخ جميل غازي يلقي دروسا في مسجده بالزيتون بالقاهرة وكم كانت سعادتنا بذلك يومئذ فعدم جود دعوة تعني انتشار الظلام ووجود دعوة تذكر الناس بالله تعني وجود النور.

خيَّم جو من الترقب والقلق مما ينتظر كل أحد بعد الخروج ولكن كان يبدد ذلك القلق كثرة العبادة والدعاء والابتهال والتضرع الى الله

والاستغاثة وجلسات الصفاء وتصفية القلوب تقربا الى الله تعالى ليدفع عنا اي مكروه منتظر فكان الدكتور عمر يردد : ماعند الله لاينال الا بطاعته وكان رحمه الله قدوة في التوسل الى الله بالطاعة والدعاء ومن ناحية أخرى لم يكن هناك وقت للاستغراق في التفكير في أي شيء سوى ما ينفع من الاستعداد العملي وتحصيل العلم والمدارسة والبحث وكان هذا المسلك مسلك الانشغال التام مقصودا كان الدكتور عمر يردد (نفسك إن تشغلها بالحق والا شغلتك بالباطل) وكنا يقال: المعسكر البطال كثير الشغب

كانت الأبحاث الشرعية قد انتهت مراجعتها ثم درِّست ثم وضعت خلاصاتها في نسيج واحد هو "ميثاق العمل الاسلامي"وتم تدريسه

والاذاعة الليلية تذكر المتوقع خروجهم وتحشد عزمتهم نحو الاستعداد للانطلاق بالدعوة والاستعداد للرضا بقضاء الله لمن يبقى لتنفيذ الأحكام

أقسام الاخوة

تم تقسيم الاخوة حسب المتوقع من موقفهم القانوني الى محكوم عليم بالاعدام وهؤلاء كان منهم عدد ١٢ يمثلون مجلس شورى التنظيم ويحتمل آخرون معهم ، وقسم متوقع الافراج عنهم وهم عدد كبير

ـ الروح التي كانت سائدة هي روح أخذ الأمور بقوة واستكمال المسير

فالمفرج عنهم سينطلقون بالدعوة منذ أول لحظة

والباقون لتنفيذ الأحكام لن يضعفوا.

كانت الاجراءت المتوقعة من ادارة السجن بعد النطق بالاحكام حسب ما سبقنا من قضايا والأعراف المعمول بها في السجون هي :

ـ بالنسبة للمحكوم عليهم بالاعدام يؤخذون من المحكمة مباشرة الى سجن الاستئناف ولايعودون للسجن.

ـ غاليا ما يطلب منهم كتابة التماس بالعفو او تخفيف الحكم.
والسياسيون غالبا ماتطلب منهم او تفرض عليهم صياغة معينة فيها نوع من ادانة انفسهم أو الاشادة بالنظام او بالحاكم أو شبه ذلك

ـ بالنسبة للمحكوم عليهم باحكام مختلفة فهؤلاء يستقبلون بالشدة وربما الضرب والحلق ويؤخذون من البوابة الى زنازين انفرادية غير زنازينهم ويقمعون حتى ينسوا الدلال الذي كانوا يتمتعون به أيام الحبس الاحتياطي قبل صدور الاحكام وليتم ترويضهم وإخضاعهم للسجن وتعليماته ويضيق عليهم والمحكوم عليه بالمؤبد منهم ان كان في سجن عادي يرحل الى ليمان ليقضي فترة مشددة تسمى "كسر الحديد" ثم يعود بعد سنين

اما المحكوم ببراءتهم فهؤلاء لايدخلون العنابر والزنازين وانما يستلمون أماناتهم من الادارة ثم يرحلون لاتمام اجراءات الافراج من أمن الدولة او غيرها.

وكان بعض الضباط يتوعدوننا بهذالأيام والاجراءات

وبناء على ما سبق من توقعاتنا للمتوقع أن يحدث بعد النطق بالحكم فقد كانت الترتيبات فيما بيننا كالآتي:

ـ الجميع يجهز متعلقاته ويعبئها على اساس أنه لن يتمكن من أخذها بنفسه بل ربما يرسلون احد العساكر لأخذها حتى إن كُلاً منا كتب اسمه على الكرتونة التي عبأ فيها متعلقاته.

ـ تصافينا وتسامحنا حيث تم تكوين لجنة للصلح قامت بمساعيها بين كل متخاصمين وأعلنت صلح كل هذه الحالات في جلسة إيمانية جميلة رائعة وتبادلوا الكمات الطيبة والهدايا توسلا الى الله ليصرف عنا أي مكروه.

ـ معظم الاخوة طلبوا السماح والعفو من بعضهم على غرار ما درسناه من سنة النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح فلعلنا لانلتقي بعد ذلك أبدا فمن كانت له مظلمة في نفسه فليصفها اليوم أو يعفو عنها.

ـ كانت مشاعرنا في تلك الأيام جياشة فقد اقترب الفراق بعد أن قضينا في هذا المكان أجمل أيام العمر تقريبا من حيث الحب في الله ومعاني الأخوة في الله والتلاحم والاستفادة من العلوم الشرعية بل وفي خبرات الحياة.

ـ بالنسبة للمتوقع الحكم عليهم بالاعدام فقد استعدوا لعدم العودة الى السجن وجهزوا فانلات حمراء يلبسونها في القفص قبل النطق بالحكم كرسالة أن الأحكام جاهزة وأنهم مستعدون نفسيا لها وليسوا نادمين

ـ بالنسبة للمتوقع الحكم لهم بحكم البراءة

ـ جرى إعدادهم لالانطلاق بالدعوة من أول لحظة بعد الخروج.

ـ كانت الحوارات والمناقشات التي دارت بخصوص ماذا بعد الحكم أسفرت عن شبه اجماع بين المتوقع خروجهم على بعض الأمور منها:

ـ سنبدأ من حيث انتهينا لامن حيث بدنا سنبدأ من العودة للمساجد والدروس وخطب الجمعة والمؤتمرات والاعتكافات ...الخ ..وفي الجامعة سنبدأ بالدعوة في المساجد وفي المدرجات ونخوض الانتخابات من أول سنة بعد الخروج

ـ سنبدأ من أول لحظة بعد صدور الأحكام.

ـ سنبدأ جهراً لاسراً وعلناً وبصوت مرتفع .

ـ وقد صدرت لهم بعض التوجيهات مثل:

ـ الانتشار في الشوارع كمجموعات من أول يوم كإعلان عن العودة.

ـ العمل علناً في المساجد وعدم ارتكاب أي أعمال تشير الى عودة التنظيم السري مثل الاجتماع في الشقق او جمع تبرعات.

ـ منع حمل أي مطواة او سلاح أبيض .

ـ التوجه الى بقية الاخوة خارج السجن ودعوتهم لإحياء العمل والدعوة.

ـ الحديث عن التعذيب لايكون الا مقرونا بالحديث عن الثبات وذلك استفادة من التأثير السلبي لبعض الكتابات عن التعذيب

ـ المعاملة مع الجماعات الأخرى باحترام وعدم الدخول في جدل لاطائل من ورائه

بالنسبة للاخوة المتوقع بقاؤهم في السجن لتنفيذ الأحكام فقد أسفرت المناقشات فيما بينهم وبعض وفيما بيننا جميعا عن عدة توصيات أهمها:

ـ الحفاظ على كيانهم كجماعة داخل السجن لكن الحديث هذه المرة أصبح عن كيان الجماعة الاسلامية بعد أن استقلت جماعة الجهاد بشؤنها

ـ التصرف في أعمال في السجن توفر بعض المصاريف مثل الأعمال اليدوية في الخرز وغيره وتأليف الكتب.

ـ التواصل مع الأوضاع خارج السجون ومعايشة أحوال الجماعة والدعوة حتى لاتطويهم السجون في حدودها الضيقة ومشكلاتها المعروفة .

ليلة النطق بالحكم

كنا كلما اقترب يوم النطق بالحكم جاشت مشاعرنا فقد اقترب الفراق بين الأحبة بيننا وبين أغلى من رأت عيوننا وعز من عشنا معهم وفي كنفهم

كنا نتعجب من أين أتى هؤلاء بمشاعر الأبوة التي يعاملوننا بها مع أنهم لم يتزوجوا بعد!

كنا كلما تصورنا الفراق توجل القلوب وتسيل المدامع

لم ننم تقريبا تلك الليلة فكل منا قضاها في ابتهال وتضرع الى الله تعالى واستغاثة به وحاول استبشار بشيء يبعد عن الذهن شبح الحكم باعدام من نتوقع لهم ذلك

لقد عشنا في هذا المكان الضيق كل الأحوال الانسانية عشناها مع فرحنا حزنا ولعبنا وذاكرنا وتدارسنا تحاورنا واختلفنا واتفقنا تجاورنا وتعايشنا وتقاسمنا الهموم والأحزان والحاجة والعوز فتقاسمنا كل ذلك بالايثار والحب والتراحم والعدل احيانا وحكينا بعضنا لبعض فكل منا يعرف جوانب حياة الآخر ويكبر فيه مبادئه التي يتمسك بها

يعرف بعضنا لبعض تضحيته وعطاءه في سبيل نصرة الاسلام؛ وتحاورنا وتعبدنا معا ودعونا الله تعالى وطلبنا منه أمورا بعينها عشنا لهفتنا عليها ثم عشنا استجابة الله تعالى لنا فما أروع هذه المشاعر وما أعظمها في دمج قلوبنا وتعانقها وتصافيها واذا وضعنا كل ماسبق ووضعنا شهور رمضان التي قضيناها معا لكان رمضان وحده كافيا لأن يروي الحب والاخوة في الله بيننا فتتعانق تعانق الأغصان في الأشجار

كنا نستعد لرمضان بتفكير جماعي مبكر ونقسم الأعمال ويتسابق لجميع على الخدمة في المطبخ وغيره .. كان لكل رمضان منحة من الله فقد كنا نأمل وندعو ان ياذن الله لنا بان نفطر سويا بدلا من الافطار متفرقين في الزنازين وقد انعم الله علينا بذلك ثم أنعم علينا بصلاة بعض ركعات القيام جماعة ثم نقضي بقية الليل في زنازيننا في العبادة نسمع دوي التلاوة كدوي النحل طوال الليل وكان العنبر لاينام فاذا دخلت العشر الأواخر نشرنا لوحات تدعو للاجتهاد في الدعاء العبادة والانقطاع لها كبديل عن الاعتكاف فيشتعل التنافس في العبادة فاذا بنا نسمع عن عبادة الدكتور عمر في المستشقى فيصل التنافس الى أقصاه

انك لاتجد علاقات تصفو مثل صفاء الاخوة في الله في ظل التعبد لله وتقواه والاجتماع على الطاعة فكما ان الاجتماع على المعصية يورث النفور والمعاداة فإن الاجتماع على الطاعة يغرس الحب في قلوب من تعاونوا على البر والتقوى

وقد كتب الدكتور ايمن الظواهري قصيدته المؤثرة ومنها:

أخي إني أريدك لاتدعني ... وإن بي ضاق صدرك من يسعني؟

أأبكي دون أن تبكي لحزني؟...وجفنك باردٌ لم يجرِ دمعه؟

.....

شريكي أنت في قهري ونصري...لنحرك صوب الاعدا ونحري

فصن صدري فأنت اليوم درعه

لقد كانت الحياة في هذه المجموعة مجرد الحياة معها فقط دافعا قويا لمحاولة الانسان أن يوجد مثل هذا المجتمع الذي يبنى على أساسٍ إسلامي إيماني وأن يضحي من أجل تلك السعادة التي عاشها في ظلال هذه الحياة السعيدة رغم محنتها وشدتها

يوم النطق بالحكم

يوم النطق بالحكم ٣٠سبتمبر ١٩٨٤

لم ننم تلك الليلة فقلوبنا متضرعة معلقة بحكم الاعدام الذي قد يصدر على القيادات الاثنا عشر وعلى رأسهم فضيلة الشيخ عمر عبد الرحمن

كان المحامون قد توسلوا للدكتور عمر عبد الرحمن ليتراجع عن مرافعته أمام المحكمة لكن الشيخ صمم على مرافعته قائلا : اذا كنا سنتقاعس عن كلمة الحق هنا فلماذا خرجنا من بيوتنا إذاً؟ ولذا ازداد تخوفنا من اعدام الشيخ بعد مرافعته الشجاعة

استعددنا للذهاب الى المحكمة حسب توجيهات الاخوة الكبار نتيجة لتوقعاتنا السابقة لما سيحدث هذا اليوم

جهز كل منا متعلقاته الخاصة به بحيث يمكن لغيره أن يأخذها له بفرض تغيير مكان اقامته بعد الحكم سواء لحصوله على البراءة أو للحكم عليه كما أسلفنا

عندما فتحت الأبواب تناقل الاخوة رؤيا رآها الشيخ سيد فراولة المؤذن أنه يركب سيارة نقل وفيها اثنا عشر بابا فسقط أحدها فنزل هو وأعاده وانطلقت السيارة فكانت هذه رؤيا مبشرة بعدم صدور احكام بالاعدام فالباب رجل قيم.

كان التفتيش مشددا هذه المرة والحراسات تفوق كل مرة تشديدا

كان المعتاد ان تختار كل سيارة أميرا لها الى أن تصل لمكانها فأوصى الأمير بالانشغال بالدعاء والذكر وعدم اللغو وأحيانا بالهتافات لا إله الا الله .. إسلامية إسلامية عند مرور السيارة بتجمعات.

في أرض المعارض كانت القوات ضخمة وحاشدة ومستعدة استعداد الحرب من كل نوع ولون

عند نزولنا تعالت هتافاتنا وأناشيدنا كالمعتاد .

وفي قاعة المحكمة كانت الحراسات متنوعة ومنهم قوات ترتدي الأقنعة الواقية بمنظرها المخيف ومنهم رجال القوات الخاصة المنتشرة بجوار الأقفاص

وعند تمام دخولنا أقفاص الاتهام الإحدى عشر فوجئت الحراسات بلافتات تعلق على الأقفاص فصدرت أوامر للقوات برفع هذه اللافتات ولكنهم فوجئوا

بمنعهم من ذلك من داخل الأقفاص فحدثت معركة امام كل لافتة فتوقفوا ولكنهم فوجئوا بالمفاجأة الثانية وهي ارتداء الاحدى عشر قياديا فانلات حمراء (لون ملابس الاعدام) فارتبكت القاعة جدا وتوتر الوضع ودأبت حركة القيادات الأمنية ذهابا وايابا واتصالا وانفعالا

وتم إخراج آلات التصوير التلفزيوني من القاعة

ثم انتهى التوتر بيأس أمن المحكمة من نزع اللافتات أو منع لبس الأحمر يبدو أن قرارا ما قد تم أتخاذه

بعد الهدوء بدأ البرنامج الخاص لهذا اليوم من داخل الأقفاص

بدأ البرنامج بقراءة القرآن من فضيلة الشيخ عمرعبد الرحمن ثم توالت الكلمات ..

من هذه الكلمات كلمة موجهة لرجال الشرطة وكلمة لأجهزة الاعلام الأجنبية ورسالة الى العالم ألقاها الدكتور أيمن الظواهري بالانجليزية بينما ألقاها بالفرنسية مهندس الاتصالات ابراهيم عيسى ورسالة الى المحامين ورسائل عدة

خطب الشيخ كرم زهدي خطبة مؤثرة وصى فيها اخوانه وصية مودع فوصى الذين سيفرج عنهم والذين سيحكم عليهم وختم وصيته بقول الله عز وجل (فاصبر إن وعدالله حق ولايستخفنك الذين لايوقنون)

وخطب الدكتور ناجح ابراهيم ووصى اخوانه وصية مؤثرة وختمها باعلان براءته من أي التماس يكتب باسمه لتخفيف حكم الاعدام اذا صدر عليه

بعد أن انتظرنا بدأ المحكمة اذا بنا نفاجأ بتأجيل الحكم الى موعد آخر وكان الراجح ان سبب التأجيل هو مشكلة الفانلات الحمراء واللافتات

بدأ الأمن باخراجنا سريعا من الأقفاص الى سيارات العودة فمزق الاخوة بعض اللافتات والقوها في القاعة بينما خبأوا الباقي في دورات المياه وكذلك بعض الفانلات الحمراء

عندما رجعنا الى السجن وجدنا استياء شديدا من ضباط السجن من احراجهم بخروج ملابس حمراء من السجن وبعدها تم تفتيش شديد للبحث عن الفانلات الحمراء

وهكذا بعد استعدادنا القوي تم التأجيل فكانت فرصة لاستدراك بعض الأمور والتأكيد على أخرى

ـ أعاد الاخوة الكبار ـ كما كنا نسميهم ـ عرض كتاب "ميثاق العمل الاسلامي"

أعددنا برامج وفقرات اذاعية أكثر مناسبة لختام هذه المرحلة وبداية مرحلة جديدة

من هذه الفقرات فقرة تسمى "الرصاصة الأخيرة"

مضمونها بقيت رصاصة أخيرة من رصاصات ذي الحجة اكتوبر ١٩٨١نطلقها الآن

الاسلام قادم ونحن قادمون

ولدعوتنا عائدون

.....

ثم نشيد:

عائدٌ أنا من حيث أتيت

عائدٌ أنا لمسجدي

عائدٌ الى الصلاة والركوع والسجود

عائدٌ الى الطريق خلف أحمد الرسول

عرفتُ قصة الطريق كلَّها

وعائدٌ أنا برغمها

كالفجرِ كالصباحِ مغدق وباسم

والخطو كالرياح عاصف وعارم

قبل الجلسة الأخيرة للنطق بالحكم والتي كانت مؤجلة نبهوا علينا عدم أخذ أي شيء أحمر وفي الصباح فتشونا بدقة ومنعوا كل أحمر حتى المصحف الأحمر منعوه أو الشبشب كذلك

ولكن هناك فوجئوا بالاخوة الاثنا عشر وقد ارتدوا فانلات بيضاء ولكن مكتوب عليها بالاحمر "إعدام"

وبعض اللافتات تم تعليقها

لكن هذه المرة دخل القاضي بسرعة ونطق الحكم على عجل

بدأ القاضي باسم المتهم الثاني وليس الأول فارتجت القاعة بالتكبير لقد نجا الدكتور عمر من حبل المشنقة ليس ذلك فحسب وانما حكم ببراءته

كان المشهد عجيبا لم يتمالك أحد بعد أن نطق بأول اسم فتأكد عدم وجود حكم بالاعدام.

كان هذا يكفينا لسجود الشكر والتكبير والتعانق والتهنئة والفرح الى حد البكاء وكأننا لاتريد ان نسمع بقية الأحكام فكل ما بعد ذلك هين.

ظلمة حالكة السواد انقشعت فجأة .. وألم بعيد المنال أصبح في اليد فجأة.

ذلك فضل الله والله ذو الفضل العظيم .

أما خارج المحكمة فقد كان الأهالي قد تجمعوا أمام أرض المعارض انتظارا للحكم وهم في غاية القلق فخرج اليهم أحد الحاضرين بالداخل مسرعا ليبشرهم وهو يشير اليهم من بعيد فرحا لكنهم لايدرون ما يقصد فلما وصل اليهم أغمي عليه وسقط أرضا قبل أن ينطق بكلمة فازداد القلق فقد ظنوا أنه أغمي عليه من صدمة الأحكام فاهتموا بافاقته وهم في أشد الغيظ: هل هذا وقته؟! قم .. أخبرنا.. فلما نطق قال لايوجد حكم بالاعدام فضجوا بالتكبير وسجدوا شكرا وكبروا وهللوا وفرحوا وتعانقوا وبكوا فرحا وأخذوا يهتفون.

بعد انتهاء النطق بالحكم تنهد أحد الضباط قائلا اشهد ان لااله الا الله .. انتهت القضية ؟

قال له أحد الاخوة : لا .بل الآن بدأت القضية.

قال الضابط مستغربا؟ أي قضية ؟

قال الأخ قضية الإسلام .. قضية الدعوة الى الله الآن سنخرج لتيبدأ فصل جديد من قضية الدعوة الى الاسلام.

قال الضابط: ياعم أنا اكلمك عن هذه القضية نحن كنا نقوم من نومنا الساعة الثانية صباحا.

وهكذا اسدل الستار على قضية القرن

وحسب مجلد «أسباب الحكم فى قضية الجناية رقم ٤٦٢ لسنة ١٩٨٢ أمن دولة عليا ـ قضية تنظيم الجهاد ـ إعداد وتقديم عبدالعزيز الشرقاوى المحامى»، فإن عدد المتهمين ٣٠٢

نسب إليهم ستون واقعة،

وأوراق القضية ٣٥ ألف صفحة

تضمنت شهادة ٤٥ شاهد إثبات و ٣٠ شاهد نفى،

واستغرقت مرافعات النيابة ٩ جلسات، ومرافعات ٩٥ محاميا، ونظرت القضية أمام محكمة أمن الدولة العليا طوارئ، برئاسة المستشار عبدالغفار محمد أحمد، وعضوية جمال على فؤاد، وإبراهيم عبدالسلام طه، المستشارين بمحكمة استئناف القاهرة، والادعاء من المستشارين رجاء العربى المحامى العام لنيابة أمن الدولة العليا، والمستشار ماهر الجندى، المحامى العام، وعبدالمجيد محمود ومحسن مبروك، رئيس النيابة وعبدالسميع شرف، وكيل النيابة

الساعات الأخيرة (أقسى فراق)

سارع أمن المحكمة بالنداء علينا للخروج للعودة الى السجون

كان المتوقع ان يتم التفريق بيننا فور النطق بالحكم وكنا متحسبين لهذه اللحظات التي طالما حاولت ان تمر على الخيال لكنه لم يكن ليسمح لها بمجرد المرور لظلمتها وبشاعتها.

فوجئنا بعودتنا الى السيارات كما جئنا وبالتالي ها قد عدنا سويا وكنا نتوقع التفريق المروع بيننا ؛ عدنا ومعنا أحياء جدد كتبت لهم الحياة وهم الاثنا عشر رأسا من رؤسنا وقلبا من قلوبنا وروحا من أرواحنا .

وكانت هذه مِنَّة أخرى من الله تعالى علينا.

كان الطريق من المحكمة الى السجن مشحونا بالمشاعر والأشجان والدموع والحديث بالعبر؛

ـ حُكم اليوم بعشر سنين على مجموعة كانت قد انشقت وشاكست معنا كثيرا لتثبت اختلافها ووعِدوا بالخروج لكنهم صدموا بالحكم!

وهكذا أخذنا نتأمل الأحكام وما فيها من عبر لاتكاد تصدق.

بقي التوقع الآخر وهو أن يمنع الحاصلون على البراءة من دخول السجن ويتسلموا أماناتهم من البوابة ليخرجوا ولكن فوجئنا بعد الوصول بدخولنا جميعا معا!

المنة الأخرى من الله تعالى أننا فوجئنا بحالة مختلفة تماما عن كل ماسمعناه من قبل من أعراف السجون في مثل حالتنا هذه.

لم نجد قوة الحراسة المعتادة التي كنا نُستقبل بها والتي توقعنا أن تستقبل المحكوم عليهم ليؤخذوا من البوابة بقسوة الى زنازينهم الجديدة المشددة ليبدأوا معهم مرحلة جديدة من الشد والقمع.

وجدنا كثيراً من الضباط في حالة من الاستياء وان كان بعضهم قد هنأنا بالحكم بتكلف شديد والاغلب منهم توارى عن استقبالنا المعتاد .

بعد دخولنا كان وضعا استثنائياً فقد سمحوا لنا بالانتقال بين العنبرين التجربة والتأديب كما نحب ـ وهو ما لم يحدث من قبل ـ فجلسنا وقضيتا معا يوما كان ممزوجا بالسعادة والبكاء معا ..

السعادة لبقاء أرواحنا وهم مشايخنا الذين قضينا معهم هذه الفترة الذهبية في حياتنا .

والحزن والبكاء لألم الفراق بين الآباء والأبناء الذين تعلموا منهم كل جميل وكفى بذلك أبوة.

بكينا جميعا في هذا اليوم بكاء لم نبكه من قبل فقد كانت الدموع تجري وحدها ، وحاول بعض المشايخ تهدئة الباكين لكن دون جدوى ، تنحى بعضهم بعيدا عن الأنظار ليطلق لسيل الدموع العنان! وكان أكثر الباكين هم المفرج عنهم الذين سينطلقون بعد قليل الى بيوتهم الثانية بعد أن أصبحت الحياة هنا هي بيوتنا الأولى .

في الوقت الذي قضيناه معا عاد المشايخ للتأكيد على وصاياهم... أكد الدكتور ناجح على أن الثبات على الدين لايقاس الا بعد الزواج والانجاب عندما يتحمل الانسان مسؤلية غيره ويكون عرضة لأن يقضي وقته بين العمل وبين طلبات الأسرة ولايبقى وقت للعمل للدين الا لمن كان حريصا بقوة على توفير هذا الوقت

اما الشيخ كرم فلم يكن قادرا على الكلام من تأثره بما حدث وللفراق الأليم لاخوانه خصوصا عندما أنشدت بعض الأناشيد مثل قصة شهيدالمؤثرة وكذلك نشيد ملكنا هذه الدنيا القرونا الذي كان يبكي الشيخ خصوصا عند قوله:

وما فتيء الزمان يدور حتى

مضى بالركب قوم آخرونا

وأصبح لايُرى في الركب قومي

وقد عاشوا أئمته سنينا

وآلمني وآلم كل حر

سؤال الدهر أين المسلمونا

اما الشيخ عصام دربالة فكان يؤثر ان يتنحى جانبا بالواحد تلو الآخر يوصيه وصايا شخصية خاصة ويؤكد عليه تأكيدات هامة تخص العمل لدين الله والدعوة الى الله.

أما الشيخ علي الشريف فقد كان حزينا لأنه لم ينل الشهادة التي كان يتمناها وكان بكاؤه غالباً عليه .

بعد ساعات قضيناها في الانتظار قالت الادارة إن سيارات الترحيل ستصل لتأخذ المفرج عنهم إلى محافظاتهم فانتظرنا وطال الانتظار إلى الليل واضطرت الإدارة الى إدخالنا الزنازين على أن تنادي على من تصل سياراتهم تباعاً.

أما الدكتور عمر عبد الرحمن فقد قالوا له سيتم ترحيلك الى امن الدولة ليفرج عنك من هناك فرفض الخروج وأصر أن يخرج من بوابة السجن الى بيته قالوا نريد ان نوصلك بسيارة الى بيتك

قال: أخي سيأخذني بسيارته

فمازال مصمما على موقف الى أن أخرجوه فأخذه شقيقه الى بيته رحمه الله

عندما ركب المفرج عنهم سيارات الترحيل لتسافر بهم الى محافظاتهم بدأوا الهتاف إيذانا ببدأ مرحلة جديدة في الدعوة من ههنا من على بوابة السجن ومن الآن منذ لحظة الخروج

هتفوا وفي أذهانهم ما ظلوا يسمعونه كل ليلة في ختام برنامج اذاعتهم الليلية

- عهدٌ: أن نعودَ إلى الطريق .. لانَحيدُ ولا نميل.
- عهدٌ: أن نحمل الأمانة .. منتصرين أو بين جدران السجون.
- عهدٌ: أن نعود للدنيا .. نُطِبُّ الجُرحَ أو نلقى المنون .

وإلى لقاء

وكان اللقاء فعلا خارج السجون من جديد في المساجد بفضل الله وبرحمته

وهذه مرحلة جديدة قد يوفق الله تعالى لتسطير ما تسعف به الذاكرة

{رَبَّنَا تَقَبَّل مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ العَلِيم}